الزواج الفارغ
بيت واحد وعالمان منفصلان

ص10

عبدالله الخطيب
مثقف جعل من المثاقفة مشروع حياة

ص8

خوارزميات السيادة
لماذا تراهن موسكو على الرياضيات؟

ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
الخميس 2026/06/18 - 03 المحرم 1448
السنة 49 العدد 13838
Thursday 18/06/2026
49th Year, Issue 13838
www.alarab.co.uk

واشنطن تطرح مبادرة لتقاسم السلطة في ليبيا

مسعد بولس يقود مساعي أميركية لتشكيل حكومة ليبية موحدة

طرابلس - تعود ليبيا مجددا إلى واجهة الاهتمام الدولي مع تحرك أميركي جديد يهدف إلى كسر حالة الجمود السياسي المستمرة منذ سنوات، عبر الدفع نحو تشكيل حكومة موحدة وإنهاء الانقسام المؤسسي بين شرق البلاد وغربها. ويأتي هذا التحرك في وقت تبدو فيه الأزمة الليبية وقد دخلت مرحلة من الاستنزاف السياسي والاقتصادي، دون أن تنجح المبادرات السابقة في تحقيق اختراق حقيقي يقود إلى انتخابات عامة أو إلى إعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس مستقرة.

وتطرح واشنطن مبادرة سياسية جديدة تهدف إلى تشكيل حكومة موحدة في ليبيا وإنهاء حالة الانقسام السياسي والمؤسسي المستمرة بين الشرق والغرب، في محاولة لإعادة دفع المسار الليبي نحو تسوية شاملة بعد سنوات من التعثر السياسي وتعدد مراكز السلطة.

وتأتي هذه المبادرة في سياق تحركات دبلوماسية متصاعدة تقودها شخصيات أميركية معنية بالملف الليبي، حيث يلعب مسعد بولس، مستشار الرئيس الأميركي دونالد ترامب للشؤون العربية والأفريقية، دورا محوريا في جهود الوساطة بين الأطراف الليبية المتنافسة، بهدف تقريب وجهات النظر وتجاوز حالة الانقسام القائمة منذ سنوات.

> الرؤية الأميركية تقوم على إعادة بناء إطار سياسي يرتكز على دمج المؤسسات المنقسمة بين الحكومتين المتنافستين

وبحسب ما نقلته صحيفة فايننشال تايمز، فإن الرؤية الأميركية تقوم على إعادة بناء إطار سياسي جديد في ليبيا، يرتكز على دمج المؤسسات المنقسمة بين الحكومتين المتنافستين، وإطلاق مسار يؤدي إلى تشكيل سلطة تنفيذية موحدة قادرة على إدارة البلاد بشكل مركزي، خصوصا في الملفات السيادية مثل الأمن والاقتصاد وإدارة قطاع النفط.

تفاؤل حذر

وتؤكد المبادرة الأميركية أن معالجة الأزمة الليبية لا يمكن أن تتم عبر تسويات جزئية أو حلول مؤقتة، بل من خلال إعادة هيكلة شاملة للمؤسسات السياسية والاقتصادية، بما يضمن إنهاء الازدواجية الحكومية التي باتت أحد أبرز أسباب عدم الاستقرار في البلاد، وتعثر إجراء الانتخابات الوطنية، واستمرار الصراع على الشرعية بين القوى المتنافسة.

ويقول بولس في تصريحات صحفية إن "الخطة هي أن تكون هناك حكومة موحدة، وتوحيد كل المؤسسات"، في إشارة إلى أن الهدف الأساسي للمبادرة يتمثل في إنهاء التشظي المؤسسي وإعادة بناء الدولة الليبية على أسس موحدة تسمح بترسيخ الاستقرار السياسي والإداري وتهيئة الظروف المناسبة للانتقال نحو مرحلة أكثر استقرارا.

ويعكس هذا الطرح تحولا في المقاربة الأميركية تجاه الملف الليبي، إذ لم تعد الجهود تقتصر على إدارة الأزمة أو احتواء تداعياتها الأمنية، بل باتت تركز على الدفع نحو حل سياسي شامل يعيد دمج المؤسسات ويضع حدا لسلطات الأمر الواقع المتنافسة في الشرق والغرب.

وترتبط المبادرة الأميركية بين الحل السياسي وإعادة تنشيط الاقتصاد الليبي، حيث يدعو بولس شركات النفط الأميركية إلى الاستثمار في ليبيا، في إشارة إلى أن تحقيق الاستقرار السياسي قد يفتح الباب أمام فرص اقتصادية واسعة في قطاع الطاقة، الذي يشكل العمود الفقري للاقتصاد الليبي ومصدر الدخل الرئيسي للدولة.

ويعكس هذا الربط بين السياسة والاقتصاد مقاربة أميركية براغماتية تقوم على فكرة أن الاستقرار لا يمكن فصله عن التنمية الاقتصادية، وأن خلق مصالح اقتصادية مشتركة بين الأطراف المختلفة قد يساعد في دفعها نحو التوافق بدلا من الاستمرار في الصراع. كما أن زيادة الاستثمارات الأجنبية يمكن أن توفر حوافز إضافية لتعزيز الاستقرار وحماية المنشآت النفطية وضمان استمرار الإنتاج والتصدير.

ومن زاوية أخرى، تسعى واشنطن من خلال هذه المبادرة إلى إعادة تعزيز حضورها في الملف الليبي، في ظل تنافس إقليمي ودولي متزايد على النفوذ داخل البلاد، خاصة في ما يتعلق بملف الطاقة والمواقع الاستراتيجية المطلة على البحر المتوسط. ويأتي ذلك بعد سنوات شهدت تراجعا نسبيا للدور الأميركي مقابل حضور أكثر فاعلية لقوى إقليمية ودولية أخرى انخرطت بشكل مباشر في إدارة الصراع أو دعم أطرافه المختلفة.

ويرى مراقبون أن التحرك الأميركي الحالي لا ينفصل عن التحولات الجيوسياسية الأوسع في المنطقة، حيث تسعى واشنطن إلى استعادة دور أكثر تأثيرا في ملفات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، خصوصا في الدول التي تمتلك موارد طاقة كبيرة ومواقع جغرافية ذات أهمية استراتيجية.

لكن رغم الطموحات الأميركية، تواجه المبادرة تحديات معقدة على الأرض، إذ إن الانقسام الليبي لا يقتصر على المستوى الحكومي فقط بل يمتد إلى المؤسسات المالية والعسكرية والأمنية، إضافة إلى تعدد مراكز القرار داخل كل معسكر سياسي، ما يجعل عملية التوحيد أكثر تعقيدا مما تبدو عليه في الطروحات الدبلوماسية.

«جرف الصخر» اختبار جدي لمسار ضبط سلاح الميليشيات في العراق

بغداد - أعادت تصريحات أطلقها محافظ بابل، جنوبي العاصمة العراقية بغداد، بشأن السكان الأصليين لمنطقة جرف الصخر، تسليط الضوء على قضية المنطقة التي استولت عليها مجموعة من أقوى الميليشيات الشيعية وأكثرها تطرفا سنة 2014، بذريعة تطهيرها من مقاتلي تنظيم داعش، فأفرغتها من سكانها، وغيرت اسمها إلى "جرف النصر"، وحولتها إلى أكبر معسكر لها.

ويحتوي الجرف على مركز قيادة وتحكم وتنسيق مع الحرس الثوري الإيراني، ومخازن للسلاح، وورش لتجميع قطع الصواريخ والطائرات المسيّرة القادمة من إيران، مستغلة ميزته الطبيعية الملائمة للعمل بعيدا عن الأنظار، بفعل كثافة غطائه النباتي العائدة إلى ثراء تربته ووفرة مياهه.

ومع كثافة الحديث الدائر في العراق حاليا حول نزع سلاح الميليشيات وضبط أنشطتها، لاح بصيص من الأمل للسكان المهجّرين الذين اصطدمت مطالبهم بالعودة إلى ديارهم، طوال اثنتي عشرة سنة، باعتراض الميليشيات والأحزاب المرتبطة بها والمتنفذة في الحكومات المتعاقبة منذ عام 2014، لكن تصريحات محافظ بابل علي تركي، المنتمي إلى كتلة "صادقون" الممثلة لعصائب أهل الحق بقيادة قيس الخزعلي، قطعت الشك باليقين بشأن رفض تصحيح الوضع الديمغرافي في الجرف.

وقال المحافظ، في مقابلة تلفزيونية، إن "أهل الجرف (المهجّرين) موجودون داخل المسيب، ولديهم منازل في الحصوة والإسكندرية"، مؤكدا تأييده لإبقاء المنطقة خالية من سكانها السابقين لأنها "خاصرة أمنية"، مضيفا "اليوم أضحي بناحية من أجل محافظة أو محافظات. وهذا التقييم موجود أمنيا. والأفضل أن نبقي على قواتنا من الحشد والأجهزة الأمنية في منطقة الجرف."

ويعيد كلام المحافظ ترسيخ العذر الطائفي الذي استُخدم في إفراغ جرف الصخر من سكانه، والمتمثل في أن هؤلاء السكان، المنتمين إلى المكون السني، مثلوا دائما حاضنة لتنظيم القاعدة ولاحقا لتنظيم داعش، في منطقة حساسة تمثل بوابة جنوبية للعاصمة بغداد ونقطة ربط بين محافظات الجنوب والوسط والغرب.

ويرى مهتمون بملف ضبط فوضى السلاح في العراق ونزع سلاح الميليشيات وتفكيك الفصائل المسلحة، في قضية جرف الصخر، اختبارا جديا لمدى قدرة حكومة رئيس الوزراء علي الزيدي على المضي في تنفيذ وعودها الكبيرة التي قطعتها في هذا الشأن.

ويعتبر كلام المحافظ بشأن جرف الصخر علامة على تواصل ذلك النفوذ داخل الحكومة الحالية، إذ ترجم علي تركي بأمانة منظور الفصائل المسلحة التي ينتمي إلى أحدها بشأن المشهد الأمني في البلاد، على أساس أن الميليشيات جزء منه لا يمكن إلغاؤه أو الانتقاص من دوره.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

في وهم الحماية الأميركية... في ضرورة الاعتماد على الذات

قال العرب قديما "ما حكّ جلدك مثل ظفرك". الجملة ليست مجرد حكمة شعبية، بل فلسفة سياسية كاملة تلخّص تجربة الشعوب: لا أحد يشعر بألمك كما تشعر به، ولا أحد يحمل هاجسك كما تحمله، ولا أحد سيحكّ جلدك بدقة كافية إلا ظفرك أنت. هذه ليست استعارةً شعرية بل تصوير واقعي لما تعنيه الإرادة الذاتية والقرار المستقل والقدرة المُبنية بيد أصحابها. أما من يعتمد على ظفر غيره فقد يحصل على بعض الراحة، لكنه لن يُداوي الحكّة.

في منتصف مارس 2026، وبينما كان مضيق هرمز يعيش يومه الرابع مغلقًا وإيران تُهدد كل سفينة تحاول العبور، كتب ترامب على منصته "لسنا بحاجة إلى نفط المنطقة، وربما لا ينبغي أن نكون هناك أصلًا". ثم طالب الصين وفرنسا واليابان وكوريا الجنوبية بإرسال سفنها لحماية الممر. الدول المذكورة رفضت. والجملة بقيت، منقوشة في سجل ما يُقال حين تتصادم البراغماتية الأميركية مع المصلحة الخليجية.

الأيام التي تلت الثامن والعشرين من فبراير كشفت بوضوح لا يحتمل التأويل ما هي الأولوية الأميركية. مذكرة التفاهم التي توصّل إليها ترامب مع إيران بُنيت أساسًا على فتح مضيق هرمز، من خلاله "سيتدفق النفط من كلا طرفي المنطقة" وفق تعبيره. المصلحة الأميركية التي حركت ترامب نحو الاتفاق لم تكن هي أمن الخليج، بل كانت أسعار الوقود وانعكاسها على الناخب الأميركي.

الفارق هنا جوهري: حين تنظر واشنطن إلى هرمز، ترى ممرًا للطاقة العالمية يرتبط بأسعار البنزين الأميركي وبالتضخم الداخلي وبالانتخابات. وحين تنظر دول الخليج إلى هرمز، ترى شريانًا يصل عبره نفطها إلى الأسواق وتدور بموجب عائداته مؤسسات الدولة وحسابات الاستقرار الاجتماعي. نفس المضيق، بعينين مختلفتين تمامًا، ومصلحتان لا تتطابقان إلا حين يتطابق القدر.

ثمة قراءة في الدوائر الإستراتيجية الأميركية لا تُعلن بصوت عال لكنها توجّه السلوك بهدوء: أن منطقة الشرق الأوسط في حالة من التنافس والتوتر والتشتت تبقى أكثر قابلية للإدارة الأميركية من منطقة موحّدة ومتكاملة. الفوضى "الخلاقة"، وفق هذه القراءة، تضمن استمرار الحاجة إلى الوجود الأميركي وتُبقي كلفة الاستقلال الإقليمي مرتفعة. في هذه المعادلة، دول الخليج لا تُدار بالتهديد المباشر بل بإبقائها في حاجة دائمة إلى ضمانة لا تأتي بالكامل ولا تُرفض بالكلية.

وما شهدناه خلال أشهر الأزمة الأربعة كشف هذه المعادلة بجلاء غير مسبوق. ترامب أعطى ضمانات تأمينية للناقلات التجارية في مارس ثم طلب من دول أخرى تحمّل الحمل. وحين فشلت محادثات إسلام آباد في أبريل، فرض الحصار البحري على إيران. لكنه حصار خدم الضغط على إيران للقبول بشروط أميركية لا خليجية، والاتفاق النهائي لا يعالج صراحة مسألة الضمانات الأمنية الخليجية كشرط لأي تسوية مستدامة.

هذا لا يعني أن أميركا عدوّة للخليج، بل يعني شيئًا أدقّ وأكثر أهمية: أن أميركا شريكة بمصالحها الخاصة، لا حارسة بإرادة مستقلة. والفرق بين الصورتين هو الفرق في كيفية صياغة السياسة الخليجية.

لا تستدعي الحكمة العربية القديمة لذمّ الشراكات الخارجية أو الدعوة إلى العزلة، بل لتأسيس علاقة صحية تقوم على الندية لا على التبعية. دول الخليج التي طوّرت على مدى العقد الماضي رؤى طموحة للتنويع الاقتصادي ورسمت مسارات للانفتاح والتحديث تملك الأرضية المناسبة لتوسيع هذا المسار نحو الاستقلالية الإستراتيجية. الخطوة ليست في رفض واشنطن كشريك، بل في رفض الوصفة التي تجعل الشراكة بديلًا عن القرار الذاتي.

الخليج يمتلك ما تفتقر إليه كثير من دول العالم: ثروة سيادية تتجاوز التريليونات من الدولارات، وموقعًا جغرافيًا يجعله محور تقاطع لسلاسل الطاقة والتجارة العالمية، وديناميكية ديموغرافية شابة تتقن لغة العصر التقنية. هذه الموارد الثلاثة – حين تُدار بإرادة سياسية مستقلة – تُشكّل "الظفر" الذي تحدّث عنه المثل. والاستثمار في منظومة أمنية خليجية – إقليمية ذاتية ليس ترفًا إستراتيجيًا، بل ضرورة تكشّفت بعمق خلال الأشهر الماضية.

> في الأسابيع الأربعة عشر التي أُغلق فيها مضيق هرمز لم يكن ترامب يفكّر في الخليج بل في سعر البنزين الأميركي

التعاون الدفاعي الخليجي المشترك ظل لعقود يُشكّل بنيةً هيكلية أكثر منه فاعليةً عملياتية حقيقية. ما أفرزته الحرب هو إدراك مؤلم: حين يُغلق هرمز وتُضرب دول الخليج الست جميعًا بصواريخ ومسيّرات، لا تأتي الطائرات الأميركية دفاعًا عن العواصم الخليجية، بل تأتي حين يصبح استمرار الضربات مُكلفًا للمصلحة الأميركية ذاتها. هذا الفارق في الحوافز يستدعي إجابةً خليجية مختلفة.

ما فعلته قطر خلال الأزمة يُقدّم نموذجًا مثيرًا للتأمل. الدوحة التي استُهدفت بصواريخ إيرانية لم تتخلّ عن قنواتها مع طهران ولم تغلق بابها أمام واشنطن، بل وجّهت مفاوضيها إلى طهران في اللحظة الحساسة التي كان فيها الاتفاق على حافة الانهيار. لم تطلب هذه الوساطة من واشنطن، بل نبعت من قرار قطري ذاتي يرى أن الحفاظ على القنوات المفتوحة هو في حد ذاته أداة قوة لا تنازلًا عن الأمن. وهذا تحديدًا هو معنى "ما حكّ جلدك مثل ظفرك" حين يُترجَم إلى سياسة خارجية: لا تنتظر من يفتح الباب نيابةً عنك، بل احتفظ بمفتاحه في يدك.

الدرس الأوسع هو أن دول المنطقة حين تتقدم بمبادراتها الخاصة – سواء في الوساطة أو في بناء القدرات أو في صياغة شروط مشاركتها في أي ترتيب دولي – تُوجد لنفسها هامشًا من الاستقلالية يصعب انتزاعه.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

مع تضاؤل الخيارات المالية.. إلى متى ستصمد السلطة الفلسطينية

رام الله استنفدت معظم الأدوات لتجاوز أزماتها المالية

بينما نجحت السلطة الفلسطينية حتى الآن في الحفاظ على الحد الأدنى من التزاماتها عبر صرف أجزاء من الرواتب والاعتماد على مصادر تمويل محدودة، تتزايد المخاوف من أن يؤدي استمرار الوضع القائم إلى تداعيات أوسع قد تمتد من القطاع العام إلى مجمل الاقتصاد الفلسطيني.

مأزق بلا مخرج

رام الله - تواجه السلطة الفلسطينية إحدى أشد الأزمات المالية في تاريخها، جراء استمرار إسرائيل في احتجاز واقتطاع أجزاء من أموال المقاصة، وضعف البدائل المالية الأخرى، مع تراجع المساعدات الخارجية وانخفاض دخل الفلسطينيين العاملين داخل إسرائيل.

ومنذ أشهر، تواصل الحكومة الفلسطينية صرف أجزاء من رواتب موظفيها العموميين بدلًا من الرواتب الكاملة، في محاولة للحفاظ على الحد الأدنى من قدرتها على الوفاء بالتزاماتها المالية.

وتتزايد التساؤلات حول المدة الزمنية التي يمكن أن تستمر خلالها هذه السياسة دون الوصول إلى مرحلة أكثر تعقيدًا.

وأموال المقاصة هي ضرائب وجمارك تجبيها إسرائيل نيابة عن السلطة الفلسطينية على السلع الواردة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، قبل تحويلها شهريًا إلى وزارة المالية الفلسطينية، بموجب بروتوكول باريس الاقتصادي الموقع عام 1994.

وتشكل هذه الأموال نحو 56 بالمئة من إجمالي الإيرادات العامة الفلسطينية، ما يجعل أي اقتطاع أو احتجاز لها ينعكس مباشرة على قدرة الحكومة على دفع الرواتب وتقديم الخدمات العامة والوفاء بالتزاماتها تجاه القطاع الخاص والبنوك.

لكن إسرائيل بدأت منذ عام 2019 باقتطاع مبالغ من هذه الأموال بذريعة مختلفة، ثم أوقفت تحويلها كاملة قبل نحو عام، ما أوقع السلطة الفلسطينية في أزمة مالية جعلتها عاجزة عن دفع رواتب موظفيها كاملة.

ويقول الخبير الاقتصادي نصر عبدالكريم إن السؤال المطروح اليوم لم يعد يتعلق بأسباب الأزمة أو تداعياتها، بل بقدرة السلطة الفلسطينية على الاستمرار في إدارتها في ظل تضاؤل الخيارات المتاحة.

ويضيف أن الحكومة استنفدت خلال السنوات الماضية معظم الأدوات التي اعتمدت عليها لتجاوز أزماتها المالية، سواء من خلال الاقتراض من الجهاز المصرفي أو تأجيل مستحقات القطاع الخاص أو تراكم المتأخرات المالية.

ويرى أن استمرار احتجاز أموال المقاصة يضع السلطة الفلسطينية أمام معضلة حقيقية، متسائلًا: «هل يمكن لأي حكومة أو سلطة في العالم أن تستمر لفترة طويلة في دفع أنصاف رواتب بينما تتآكل خياراتها المالية يومًا بعد يوم؟».

ويشير إلى أن الأزمة تتجاوز مسألة الرواتب، في ظل تراجع مصادر الدخل لدى آلاف الأسر الفلسطينية نتيجة فقدان عشرات الآلاف من العمال وظائفهم داخل إسرائيل، وحالة التباطؤ التجاري والانكماش الاقتصادي التي تشهدها الضفة الغربية المحتلة.

نصر عبدالكريم

السلطة أمام واقع تتقلص فيه الإيرادات وتتزايد فيه الالتزامات

ويوضح عبدالكريم أن الحكومة الفلسطينية أصبحت أمام واقع تتقلص فيه الإيرادات وتتزايد فيه الالتزامات، فيما تتراجع قدرة الاقتصاد المحلي على توليد موارد إضافية تساعد في امتصاص آثار الأزمة.

ويعتبر أن استمرار احتجاز أموال المقاصة دون توفير بدائل مالية خارجية سيجعل من الصعب الحديث عن حل حقيقي للأزمة. ويشدد على أن المجتمع الدولي مطالب بتحمل مسؤولياته إذا كان جادًا في دعم حل الدولتين والحفاظ على مؤسسات الدولة الفلسطينية.

ويؤكد أن الإفراج عن الأموال الفلسطينية المحتجزة أو توفير شبكة أمان مالية دولية وعربية بات أمرًا ضروريًا للحيلولة دون تفاقم الأزمة وتحولها إلى أزمة اقتصادية واجتماعية أوسع.

ولطالما دعت السلطة الفلسطينية الدول العربية إلى تفعيل شبكة الأمان المالية العربية لتمكينها من الوفاء بالتزاماتها تجاه مواطنيها، وهو ما لم يحدث بعد. وأُقرت شبكة الأمان المالية العربية عام 2010 بقيمة 100 مليون دولار شهريًا لدعم الحكومة الفلسطينية في الأزمات المالية.

وحسب الخبير الاقتصادي أيهم أبو غوش، لا تزال السلطة الفلسطينية قادرة على الاستمرار في صرف أجزاء من الرواتب خلال الفترة المقبلة، مستفيدة من الإيرادات المحلية المتاحة وبعض المنح الدولية التي أُعلن عنها مؤخرًا.

ويقول إن الحكومة تعتمد حاليًا على موارد محلية ومنحة أوروبية بقيمة 210 ملايين يورو موزعة على عدة أشهر، ودعم من البنك الدولي، فضلًا عن آمال معلقة على مخرجات مؤتمر المانحين المرتقب خلال الأسابيع المقبلة.

إلا أن أبو غوش يؤكد أن هذه الموارد لا تعالج جوهر الأزمة، بل توفر هامشا زمنيًا إضافيًا يسمح للحكومة بمواصلة العمل في ظل الظروف الحالية.

ويوضح أن الاقتصاد الفلسطيني يعتمد تاريخيًا على مجموعة من الركائز الأساسية، في مقدمتها الإنفاق الحكومي، الذي يتراوح سنويًا بين 18 مليار شيكل (6.1 مليارات دولار) و19 مليار شيكل (6.5 مليارات دولار)، وتشمل هذه المبالغ الرواتب والمساعدات الاجتماعية والنفقات التشغيلية المختلفة.

ويشكل هذا الإنفاق نحو ثلث النشاط الاقتصادي الفلسطيني تقريبًا، ما يجعل أي تراجع فيه ينعكس مباشرة على الأسواق والقطاع الخاص ومستويات الاستهلاك، بحسب أبو غوش.

ويضيف أن الركيزة الثانية تتمثل في العمال الفلسطينيين داخل إسرائيل، الذين كانت دخولهم تضخ ما بين 5.1 مليارات دولار و5.8 مليارات دولار سنويًا في الاقتصاد الفلسطيني قبل الحرب على قطاع غزة في أكتوبر 2023.

واستدرك قائلًا: «هذه التدفقات المالية تراجعت بصورة كبيرة بعد تقليص تصاريح العمل، إذ لم يعد يعمل داخل إسرائيل سوى ما بين 30 ألفًا و40 ألف عامل فلسطيني، مقارنة بأعداد كانت أكبر بكثير قبل الحرب».

وحسب أبو غوش، فإن تراجع هذين المصدرين الرئيسيين للسيولة المالية أدى إلى إضعاف النشاط الاقتصادي في الضفة الغربية، ودفع الاقتصاد نحو مزيد من الانكماش وارتفاع معدلات البطالة والفقر.

ولا تقتصر تداعيات الأزمة على الموظفين العموميين وحدهم، بل تمتد إلى قطاعات اقتصادية واسعة ترتبط بالحكومة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مثل شركات المقاولات والأدوية والخدمات المختلفة.

ويحذر أبو غوش من أن استمرار الأزمة المالية لفترة طويلة قد ينعكس أيضًا على القطاع المصرفي الفلسطيني، نظرًا إلى حجم انكشافه على الحكومة والجهات المرتبطة بها.

ووفقًا لتقديراته، يبلغ إجمالي التسهيلات الائتمانية التي قدمتها البنوك الفلسطينية نحو 12 مليار دولار، يذهب منها نحو 3.5 مليارات دولار للحكومة الفلسطينية، ونحو ملياري دولار لموظفي القطاع العام، إضافة إلى ما يقارب 1.5 مليار دولار لشركات تتعامل مع الحكومة.

عقدة الزعامة لدى ترامب تبرز مجدداً في قمة السبع

إيفيان (فرنسا) - لم تمثّل قمة مجموعة السبع في فرنسا فرصة للرئيس الأميركي للتواصل مع قادة أكبر الدول الشريكة لبلاده وإعادة ترميم العلاقات معهم بعد تأثرها الواضح بسياساته ومواقفه المتقلّبة وتصريحاته اللاذعة، بقدر ما مثّلت فرصة جديدة له لإبراز أناه المتضخّمة والتعبير عن عقدة الزعامة التي باتت واضحة لديه.

وأخذت حالة الاستعلاء على باقي الشركاء لدى الرئيس الأميركي هذه المرة مظهر "آلية الدفاع"، وهو مصطلح في التحليل النفسي يعني لجوء الفرد إلى أساليب ووسائل لإخفاء حرجه وتوتره الناجمين عن أحداث غير ملائمة ومشاعر مضطربة. وهي حالة يُتوقّع أن ترامب يعاني منها في الوقت الحالي بسبب تورطه في الحرب ضد إيران والنتائج العكسية التي جرّتها على بلاده ومعظم دول العالم.

وعلى الرغم من ترؤس الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للقمة، أصرّ ترامب، الأربعاء، على تقديم نفسه بوصفه صاحب اليد العليا، إذ قال "أنا الزعيم" على مسمع القادة الآخرين أثناء دخوله إلى الجلسة الصباحية في اليوم الختامي للقمة.

وبينما علت ضحكات القادة والمسؤولين، بدا أن ماكرون تلقّى التعليق بروح مرحة، وسأل ترامب: "كيف حالك؟"، فأجاب: "بخير، شكراً"، قبل أن يجلس في مقعده.

وبعد التوصل إلى مذكرة تفاهم تنهي الحرب في الشرق الأوسط، واحتفاله بعيد ميلاده الثمانين الأحد، هيمنت شخصية ترامب على أجواء القمة التي عُقدت في إيفيان الفرنسية المطلة على بحيرة جنيف.

وخلال لقائه نظيره الفرنسي، نقلت عدسات الكاميرات بوضوح طريقة مصافحة ترامب لماكرون بطريقة باردة لم يبذل فيها أي جهد يُذكر، وحرص خلالها فقط على أن تكون يده "هي العليا"، مع تعبير واضح في عينيه عن البرود وعدم الرضا.

وعلى عكس القمة السابقة في كندا التي غادرها باكراً، بقي الرئيس الأميركي، المعروف بطباعه المتقلّبة وزهوه بنفسه، حاضراً على مدى أيام القمة الثلاثة في فرنسا، ووقّع البيان الختامي للمجموعة التي تضم سبعاً من الدول الصناعية الكبرى.

وفي خطوة غير معتادة، وجّه ماكرون دعوة إلى ترامب لتناول العشاء في قصر فرساي قرب باريس، بعد انتهاء أعمال القمة الأربعاء.

وجاءت الخطوة الفرنسية في سياق زخم أوسع من المجاملات التي حرص القادة الغربيون على توجيهها إلى نظيرهم الأميركي، سعياً إلى استرضائه وإشباع غروره، تجنباً لمواقفه الحادة التي لم يكن أحد يضمن ألا تؤدي إلى تفجير قمة السبع وإفسادها.

وقال ترامب، الثلاثاء، إنه قبل دعوة ماكرون إلى العشاء في قصر فرساي لأن هذا الصرح التاريخي الذي كان يقيم فيه الملك لويس الرابع عشر "يختصر الحكاية كلها".

وصرّح ترامب على هامش القمة: "دعاني الرئيس الفرنسي، وهو بالمناسبة رجل طيب جداً، للعشاء في فرساي".

وفي مسعى إلى تفادي ما حدث خلال القمة السابقة لمجموعة السبع في كندا عندما اختصر ترامب مشاركته، قرر الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تنظيم عشاء خاص مع نظيره الأميركي في قصر فرساي بعد القمة.

وأقرّ ترامب، الذي يحلو له أن يُشبَّه بـ"الملك" ولا يخفي إعجابه بمظاهر الترف، بأن العشاء سيؤخر عودته إلى دياره، لكنه أكد أنه لا مشكلة في الأمر.

وقال: "فرساي يختصر الحكاية كلها، وقلت إنني أرغب في ذلك. وكل ما في الأمر أنني سأصل إلى دياري في ساعة متأخرة من المساء، أو بالأحرى في الصباح. وأنا لا أنام طويلاً أصلاً".

> **تضخّم الأنا لدى ترامب بصدد التحوّل، بعد حرب إيران، إلى «آلية دفاع» بحسب التحليل النفسي، لإخفاء القلق والإحباط**

وتعهّد بأن يكون في المكتب البيضاوي في ساعة مبكرة "من دون تضييع الوقت".

وأثارت مبادرة الرئيس الفرنسي، الذي ينظم آخر قمة لمجموعة السبع قبل انتهاء ولايته العام المقبل، استياء سياسيين في بلده.

وفي سياق لا يبتعد كثيراً عن مجاملة ترامب، أعرب المستشار الألماني فريدريش ميرتس عن اعتقاده بأن علاقته بالرئيس الأميركي لم تتأثر سلباً، رغم التوترات التي شهدتها الأسابيع الماضية على خلفية الحرب الأميركية الإسرائيلية على إيران.

وعلى هامش قمة مجموعة الدول الصناعية السبع الكبرى، قال ميرتس أمام الصحافيين، الأربعاء: "لقد تحدثنا معاً بمنتهى الصراحة حول كافة القضايا".

وأضاف المستشار: "كما ناقشنا بصورة بناءة للغاية الأمور التي كانت محور اهتمامنا هنا في هذه القمة. وبناءً على ذلك، لا توجد أي تحفظات على الإطلاق تشوب تعاملنا الشخصي".

وأشار رئيس الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني إلى أن ذلك لا ينطبق عليه شخصياً فحسب، بل يمتد ليشمل جميع المشاركين الآخرين في القمة. وقال ميرتس إنه لمس خلال الاجتماع "أجواء بناءة للغاية وروحاً مشتركة حقيقية".

وتابع المستشار الألماني: "لم تشهد اللقاءات في أي مرحلة من مراحلها أي خلافات شخصية، بل على العكس من ذلك، كان هناك توافق سياسي كبير بشأن القضايا الكبرى التي ناقشناها".

الخرطوم رهينة سيطرة التشكيلات المسلحة رغم القرار بإخلائها

تعدد مراكز القوة المسلحة في العاصمة السودانية يثير تساؤلات بشأن قدرة الدولة على فرض احتكارها للسلاح

الخرطوم - تبدو العاصمة السودانية الخرطوم، بعد أكثر من عام على استعادتها من قبضة المعارك الواسعة التي شهدتها الحرب بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، بعيدة عن الصورة التي بشّرت بها السلطات العسكرية والحكومة الموالية لها، والقائمة على عودة الحياة المدنية وإخلاء المدينة من مختلف المظاهر العسكرية. فالمشهد الميداني يكشف استمرار انتشار تشكيلات مسلحة متعددة الانتماءات، ما يطرح تساؤلات متزايدة حول مدى قدرة الدولة على فرض سلطتها الكاملة على العاصمة وحصر استخدام القوة في المؤسسات النظامية الرسمية.

الوضع على حاله

وسلطت صحيفة "صوت الأمة" السودانية الضوء على هذه الإشكالية من خلال رصدها لتعدد الارتكازات العسكرية داخل العاصمة وضواحيها، حيث تتجاور نقاط التفتيش التابعة للجيش مع أخرى تتبع لحركات مسلحة وقوات شبه عسكرية شاركت في الحرب أو انخرطت في تحالفات داعمة للجيش. ويعكس هذا الواقع استمرار حالة التداخل بين الأجسام المسلحة المختلفة، رغم الوعود المتكررة بإنهاء هذه الظاهرة وإعادة الخرطوم إلى وضعها الطبيعي.

وأشارت الصحيفة إلى أنه في شارع النيل بمدينة أم درمان يمكن ملاحظة ارتكاز يتبع لكتيبة البراء بن مالك، وهي تشكيل عسكري صنفته الإدارة الأميركية في مارس الماضي ضمن الكيانات المرتبطة بالإرهاب والخاضعة للعقوبات. وعلى مسافة قصيرة من الموقع نفسه يظهر ارتكاز لإحدى الحركات المسلحة الموقعة على اتفاق جوبا للسلام، ثم يبرز ارتكاز آخر تابع للقوات المسلحة السودانية. ويعكس هذا المشهد تعدد الجهات التي تمارس أدوارا أمنية وعسكرية داخل المدينة، في وقت يفترض فيه أن تكون العاصمة تحت إدارة مؤسسات الدولة وحدها.

ويجد المواطن السوداني نفسه أمام واقع معقد يصعب معه تحديد الجهة التي تملك القرار الأمني النهائي في الشارع. فوجود قوات متعددة الولاءات والمرجعيات لا يعكس فقط استمرار آثار الحرب، بل يثير أيضا مخاوف بشأن مستقبل الاستقرار الأمني وقدرة السلطات على فرض منظومة موحدة لإدارة الأمن والنظام العام.

ويكتسب هذا الواقع أهمية خاصة بالنظر إلى أن السلطات السودانية كانت قد أعلنت منذ أشهر عن خطة واضحة لإنهاء المظاهر العسكرية في الخرطوم. ففي يوليو 2025 أصدر رئيس مجلس السيادة وقائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان قرارا بتشكيل لجنة عليا برئاسة عضو مجلس السيادة الفريق إبراهيم جابر، وكلفها بالإشراف على عملية إخلاء ولاية الخرطوم من التشكيلات العسكرية والمظاهر المسلحة، تمهيدا لعودة مؤسسات الدولة واستئناف النشاط المدني بصورة طبيعية.

> **المواطن الذي يتجوّل في أم درمان أو الخرطوم أو بحري، لا يحتاج إلى تقارير رسمية ليتأكد من استمرار المظاهر العسكرية**

وحظي القرار آنذاك بترحيب واسع باعتباره خطوة ضرورية لإعادة بناء الثقة بين الدولة والمواطنين، خاصة أن الخرطوم كانت قد تحولت خلال الحرب إلى ساحة مفتوحة للعمليات العسكرية، وشهدت انتشارا واسعا لمختلف أنواع التشكيلات المسلحة، بما في ذلك وحدات الجيش والقوات المساندة له والحركات المسلحة ومجموعات المتطوعين.

وبعد أقل من شهر على تشكيل اللجنة، أعلن الفريق إبراهيم جابر أن عملية إخراج القوات المقاتلة من ولاية الخرطوم بلغت نسبة 98 بالمئة، مؤكدا أن العمل يسير وفقا للخطة الموضوعة وأن العاصمة مقبلة على مرحلة جديدة تتراجع فيها المظاهر العسكرية لصالح الأجهزة المدنية والشرطية المختصة.

غير أن المشهد الحالي يوحي بوجود فجوة واضحة بين ما أعلنته السلطات وما يلمسه المواطنون على الأرض. فالانتشار العسكري لم يختف بشكل كامل، كما أن تعدد الجهات المسلحة لا يزال يمثل أحد أبرز ملامح الحياة اليومية في أجزاء من الخرطوم وأم درمان وبحري. وفي بعض الحالات، أصبح هذا التعدد مصدرا للقلق والارتباك أكثر من كونه عامل استقرار أو طمأنينة.

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

السيادة الرقمية في قبضة الرياضيات: كيف تحوّل روسيا عزلتها إلى سلاح؟

خوارزميات السيادة: لماذا تراهن موسكو على الرياضيات؟

لا تنظر روسيا إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه مجرد سوق للمنتجات الرقمية أو أداة لتعظيم الأرباح، بل تعتبره ساحة صراع تتعلق بالسيادة المعرفية واستقلال القرار الوطني. ومن هذا المنطلق، تسعى إلى بناء نموذجها الخاص القائم على الإرث العريق للرياضيات والمنطق الصوري، في مواجهة نماذج تعتمد أساسا على البيانات الضخمة والتعلم الإحصائي.

مقاربة روسية مغايرة للذكاء الاصطناعي

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة باريس 8

هل نحن بصدد ذكاء حقيقي، أم مجرد وهم إحصائي يتقن التخمين؟ بينما يفتن العالم ببريق روبوتات المحادثة الغربية وطلاقتها، تُحيك روسيا في صمت مدرسة مضادة؛ مدرسة لا تؤمن بالبيانات الضخمة بقدر إيمانها بصرامة البرهان الرياضي. إنها ليست مجرد معركة تقنية بين شرق وغرب، بل هي صدام فلسفي وجودي: هل الذكاء الاصطناعي هو "صندوق أسود" لا نفهم دهاليزه، أم هو منظومة منطقية يجب أن تُخضع للمساءلة قبل أن نأتمنها على حياة البشر؟ ومن ثم، كيف تُعيد موسكو تعريف "السيادة الرقمية" بسلاح لا يُصنع في مختبرات وادي السيليكون، بل في أروقة المنطق الرياضي الصوري؟

التكوين التاريخي: خلف الستار الرياضي

لفهم تميز المدرسة الروسية، يجب العودة إلى الحقبة السوفيتية، حيث كانت التكنولوجيا ضرورة لا خياراً تجارياً، وأداة بقاء وتفوق في آن واحد. ففي معاهد مثل "معهد ستيكلوف للرياضيات"، ترسخت ثقافة تقدم البرهان على المنتج، وتمنح النظرية أولوية واضحة على التطبيق السريع. ومع محدودية الموارد، اعتمد العلماء الروس على الكفاءة والخوارزميات المبتكرة بدلاً من الحوسبة المكثفة، وهو ما جعل هذه المدرسة مرادفاً لـ"الأناقة الرياضية". إلا أن الاختلاف الجوهري يكمن في منهجها التعليمي؛ فبينما اعتمد الغرب على الاستقراء المكثف عبر إغراق الآلة بالأمثلة، تمسكت روسيا بالاستنباط الرياضي.

ولتفهم سر تميز المدرسة الروسية، تخيل أن الذكاء الاصطناعي هو طالب في امتحان؛ فالمدرسة الغربية تعلّم الطالب "الحفظ عبر التكرار" (البيانات الضخمة)، بينما تصر المدرسة الروسية على "فهم القاعدة" (المنطق).

تعقيد كولموغوروف: هو ببساطة مقياس لمدى "ذكاء" ضغط المعلومات. القاعدة هنا تقول: إذا كنت تستطيع شرح فكرة معقدة بمعادلة قصيرة وبسيطة، فأنت تفهمها بعمق. بالنسبة إلى الروس، الذكاء ليس في كثرة البيانات، بل في قدرة الخوارزمية على استخلاص "أقصر قاعدة منطقية" تفسر كل تلك البيانات.

النموذج المتعدد للتعلم: ابتكره أليكسي إيفاخنينكو، وهو يشبه بناء "شجرة قرارات" ذكية. فبدلاً من إغراق الآلة بمليارات الصور لتعلم ما هو "القط"، يقوم هذا النموذج بتفكيك المشكلة إلى طبقات منطقية بسيطة ومتسلسلة، حيث تُبنى كل طبقة على فهم رياضي لما قبلها. وهذا يجعل القرار النهائي للآلة ليس مجرد "تخمين إحصائي" غامض، بل مساراً منطقياً يمكن تتبعه وفحصه وتصحيحه، مما يحول "الصندوق الأسود" إلى "صندوق شفاف".

ووفق هذا التصور، لا تتعلم الآلة من التكرار وحده، بل من فهم القيود الرياضية التي تضبط النظام وتحدد مساره مسبقاً. لذا يمنح هذا النهج الذكاء الاصطناعي استقراراً أكبر، لأنه يربطه بالمنطق لا بتقلبات البيانات. وهنا يكمن جوهر الصراع اليوم في "معضلة الصندوق الأسود"؛ إذ يجد المطورون والعملاء أنفسهم أمام آلات ذكية لكنها "صامتة منطقياً". تخيل أنك تقدم طلباً للحصول على قرض بنكي، فتأتيك الموافقة – أو الرفض – من خوارزمية ذكاء اصطناعي؛ أنت لا تعرف لماذا رُفضت، والبنك نفسه لا يملك تفسيراً، فالقرار اتُخذ داخل دهاليز حسابية معقدة إلى درجة تستعصي على الفهم البشري. إنها حالة "آلة صنع القهوة الخارقة" التي تصنع لك أجود كوب، لكنها تعجز عن إخبارك بكيفية ذلك. وبالتالي، فإن هذا الغموض ليس مجرد فضول تقني، بل هو "فجوة مساءلة" خطيرة؛ ففي الطب أو القضاء، كيف نأتمن خوارزمية على حياة مريض وهي لا تملك "لغة" تشرح مسارها المنطقي؟

فلسفة السيادة: استقلالية العقل الرياضي

طرحت المدرسة الروسية فهماً مختلفاً للسيادة العلمية خارج أروقة المختبرات. فإذا كانت السيادة لدى الصين تعني التحكم في البنية التحتية، ولدى الغرب تعني السيطرة على الأسواق، فهي لدى الروس تعني "استقلالية العقل الرياضي". إنهم يرون أن الدولة التي لا تملك خوارزمياتها الأساسية – تلك التي لا تعتمد على مكتبات برمجية خارجية – هي دولة تفتقر إلى الاستقلال الرقمي الحقيقي. وعليه، دفعهم هذا التوجه إلى تطوير أدوات لا تعتمد على المعايير الغربية، مما خلق نوعاً من "الاكتفاء الذاتي الرياضي".

> التعددية الرقمية التي تدعو إليها المدرسة الروسية ليست مجرد خيار سياسي، بل هي ضرورة وجودية لضمان تنوع الرؤى البشرية

إن هذا الالتزام ليس مجرد نزعة قومية، بل إدراك عميق بأن الخوارزمية ليست مجرد تعليمات برمجية، بل هي "هيكل معرفي" يفرض رؤيته للواقع. فعندما يستورد العالم أنظمة ذكاء اصطناعي غربية، فهو يستورد "منطقاً اجتماعياً" مغلفاً في شيفرات غير مرئية؛ نماذج محملة بآلاف الساعات من البيانات التي تعكس ثقافات وأحكاماً مسبقة وأولويات سياسية خاصة بالمنتج الغربي. لذلك فتحت المدرسة الروسية، من خلال تطويرها نماذج لغوية مستقلة، المجال أمام "تعددية رقمية" ضرورية، محذرة من أن الدول التي تعتمد كلياً على "محركات استنتاج" خارجية تضع استقلالها المعرفي تحت رحمة خوارزميات قد تُبرمج غداً لتقييد قراراتها السيادية.

إرث الرواد: من مختبرات السوفيت إلى ثورة الذكاء المعاصرة

لم يتوقف أثر العقول التي أرست قواعد "الذكاء الجوهري" – كأندريه كولموغوروف وأليكسي إيفاخنينكو – عند حدود الحقبة السوفيتية، بل امتد ليشكل الحمض النووي للثورة الرقمية الراهنة عبر أجيال تشربت تلك الصرامة الرياضية. ومن أبرز هؤلاء يبرز إيليا سوتسكيفر، الذي حمل معه صرامة التكوين المعرفي الشرقي ليكون "المعمار" الذي صمم البنية التحتية لأكثر نماذج الذكاء الاصطناعي تعقيداً اليوم، ناقلاً النظريات السوفيتية حول الشبكات العصبية إلى واقع تجاري عالمي ملموس. وإلى جانبه، يلمع اسم أندريه كارباثي، الذي استلهم دقة الرياضيات في تبسيط العلوم المعقدة، جاعلاً الآلات لا تكتفي بـ"الكلام" فقط، بل تدرك العالم وتتفاعل معه فيزيائياً. وهؤلاء الرواد يمثلون الجسر الحي الذي يربط بين عراقة المنطق الرياضي الروسي وديناميكية الابتكار التي تقود العالم اليوم.

نماذج المدارس العالمية: تشبيه «بناء البيت»

لتقريب الصورة إلى القارئ، يمكننا تخيل بناء الذكاء الاصطناعي بوصفه بناء "بيت":

المدرسة الغربية: هي "شركات الديكور" التي تبيعك بيتاً جاهزاً وجذاباً (تطبيقات سهلة الاستخدام). تهتم بالبيع وإرضاء المستخدم.

المدرسة الصينية: هي "الدولة" التي تحدد تصميم البيت ومكانه ومن يسكن فيه، وتفرض قوانينها لضمان السيطرة والأمن.

المدرسة الروسية: هم "المهندسون الذين رسموا قوانين الفيزياء والمساحة"؛ لا يهتمون بالديكور، بل بأن يكون الأساس الرياضي متيناً لا ينهار.

المدرسة الأوروبية: هم "المشرعون ومخططو المدن" الذين يضعون معايير السلامة وقيود الخصوصية.

بوتين يقود معركة الذكاء الاصطناعي

المدرسة الهندية: هم "المقاولون والمنفذون" الذين يمتلكون جيشاً من العمال القادرين على بناء ملايين الوحدات بكفاءة عالية، ويعممون الخدمة على الجميع.

واقع الذكاء الاصطناعي في روسيا 2026: بين الطموح والعزلة

في المشهد الراهن، تحول الذكاء الاصطناعي في روسيا من بحث أكاديمي إلى أداة مركزية للسيادة الرقمية. لكنها تواجه تحدي موازنة طموحها في الاستقلال التقني مع عواقب العزلة عن أسواق العتاد العالمي. وقد فرض هذا الواقع استراتيجية "الاستبدال التقني"، عبر استثمار المليارات في مشاريع محلية.

تشير الأرقام إلى أن الحكومة الروسية خصصت ضمن "الخطة الوطنية للذكاء الاصطناعي" ميزانية تقارب 25 مليار دولار حتى عام 2030. ومن الأمثلة البارزة:

نماذج اللغة: برز "ياندكس جي بي تي" أداة وطنية تجذب أكثر من 40 مليون مستخدم نشط شهرياً، مما يعزز الاستقلال عن النماذج الغربية.

الأمن الرقمي: يُعد نظام "المدينة الآمنة" في موسكو، الذي يعتمد على أكثر من 250 ألف كاميرا ذكية، أحد أكثر الأنظمة كفاءة عالمياً في التنبؤ الأمني والتعرف على الوجوه.

البنية التحتية: نجحت روسيا، عبر مسارات الاستيراد غير المباشر وتطوير بدائل محلية مثل معالجات "بايكال" و"ألبروس"، في تغطية 30 من احتياجاتها الاستراتيجية من الحوسبة عالية الأداء. ورغم أن هذه النسبة لا تزال دون مستوى الطموح الكلي، فإنها تمثل مؤشراً قوياً على نجاح استراتيجية "الاستبدال التقني".

تحديات المنطق الرياضي في سوق لا يعترف إلا بالسرعة

على الرغم من الثراء الفكري للمدرسة الروسية، فإن المراهنة المطلقة على "المنطق الصوري" تصطدم بواقع تقني واقتصادي معقد. فالأناقة الرياضية تفتقر أحياناً إلى "المرونة التنافسية" التي تتطلبها الأسواق، حيث أصبحت "السرعة في النشر" وتوفر العتاد المادي عاملين حاسمين يتجاوزان جودة البرهان الرياضي. كما أن هذا النهج يواجه "جموداً ابتكارياً"؛ فالحياة والواقع البشري غالباً ما يتسمان بالفوضى وعدم الحتمية، وهي مساحات يجد المنطق الرياضي الصرف صعوبة في احتوائها. كذلك فإن تحويل الذكاء الاصطناعي إلى "أداة سيادية" تخضع لرقابة مركزية يطرح تساؤلاً أخلاقياً: هل يمكن للرياضيات أن تظل "محايدة" حين تُطوع بالكامل لخدمة أهداف أمنية وسياسية؟

والمفارقة اللافتة هي أن روسيا، رغم إعلائها شأن البرمجيات السيادية، لا تزال تعتمد بشكل حيوي على "المحيط الرقمي العالمي". فالباحثون الروس ما زالوا يطورون نماذجهم باستخدام أطر عمل مثل "باي تورش" و"تنسور فلو"، وهي في جوهرها أدوات طورها الغرب. ويمثل هذا "تناقضاً جوهرياً"، حيث يُبنى الاكتفاء الذاتي الرياضي بـ"أحجار الخصم". فبينما تُصمم الخوارزميات بروح روسية خالصة، فإن الهياكل التحتية التي تُنفذ عليها لا تزال تدور في فلك المنصات الغربية. وبالتالي، فإن هذا الوضع يجعل من "الاكتفاء الذاتي الرياضي" مشروعاً طموحاً يواجه تحديات واقعية قاسية؛ إذ تُستخدم الأدوات المتاحة عالمياً بوصفها "وسائط عابرة" للوصول إلى غاية سيادية محلية، مما يجعل السيادة الرقمية الروسية أشبه بـ"نظام هجين" يحاول موازنة مثالية المنطق الرياضي مع قسوة التبعية لأساسيات الحوسبة.

هل نحن أمام نظام عالمي جديد؟

إن صراع السيادات الرقمية ليس مجرد سباق تقني، بل هو إعادة تشكيل للنظام العالمي. لذا فإما أن نكون سادة لمنطقنا ومعادلاتنا، أو نبقى مستهلكين في صمت داخل "صناديق سوداء" لا نملك مفاتيحها. ومن ثم فإن المستقبل لن يكون لمن يمتلك البيانات الأضخم فحسب، بل لمن يمتلك القدرة على فهم ما يجري داخل محرك الآلة. وفي ذلك، تظل التجربة الروسية نموذجاً ملهماً لرفض التبعية، لكن نجاحها المستدام يعتمد على قدرتها على التوفيق بين "صلابة المنطق الروسي" و"ديناميكية الابتكار المفتوح".

وبالقياس إلى التجربة الروسية ذاتها، فإن العالم الرقمي ليس مجرد معادلة يجب حلها، بل هو نظام متفاعل لا يقبل التوقف عند حدود الجغرافيا أو أيديولوجيا السيادة. لقد أثبت الروس أن العلم قادر على تجاوز الحصار إذا ما امتلك القاعدة النظرية الصلبة، لكنهم أثبتوا أيضاً أن التقنية في عصر العولمة لا يمكن أن تنعزل كلياً دون أن تفقد جزءاً من حيويتها التنافسية.

في نهاية المطاف، سيظل السؤال المعلق حول الذكاء الاصطناعي: هل سننجح في بناء ذكاء "مساءل"؟ فالمدرسة الروسية، بتركيزها على الشفافية الرياضية، تضع العالم أمام مسؤولية أخلاقية وتقنية لا يمكن تجاهلها. لقد حولت روسيا عزلتها إلى مختبر للأفكار، وأثبتت أن العقل الرياضي هو خط الدفاع الأول عن السيادة. ومع ذلك، يظل التحدي القادم هو قدرة هذا النموذج على الانفتاح دون الانحلال، والاستمرار دون الانغلاق في أطر ضيقة تعيق التطور التقني العالمي الذي يتطلب تضافر الجهود الإنسانية.

> المفارقة اللافتة هي أن روسيا، رغم إعلائها شأن البرمجيات السيادية، لا تزال تعتمد بشكل حيوي على «المحيط الرقمي العالمي»

إن الدرس الذي تقدمه لنا هذه الرحلة في كواليس العقل الرياضي الروسي يتجاوز حدود السياسة أو التكنولوجيا؛ إنه درس في "الوعي". نحن بحاجة إلى التوقف عن كوننا مستخدمين سلبيين للتقنية، والبدء في التساؤل عن القواعد التي تحكم عوالمنا الرقمية، تماما كما فعل الروس حين رفضوا التسليم بقواعد الصندوق الأسود، وأصروا على البحث عن الحقيقة في المعادلات لا في النتائج المبهرة فقط. وهذا الوعي بالبنية التحتية للمنطق هو ما سيحدد في النهاية موازين القوى في القرن الحادي والعشرين، وهو ما يجعل من التجربة الروسية محطة مفصلية في تاريخ التحول التقني العالمي، بغض النظر عن النتائج المباشرة للسباق نحو الهيمنة.

إن التعددية الرقمية التي تدعو إليها المدرسة الروسية ليست مجرد خيار سياسي، بل هي ضرورة وجودية لضمان تنوع الرؤى البشرية في مواجهة ذكاء اصطناعي قد يغدو يوماً ما مهيمناً على الفكر الإنساني نفسه. إذ بتبني هذا المنطق، تتحول التقنية من أداة سيطرة إلى وسيلة لتعزيز استقلال الأمم وحماية هويتها المعرفية. وهكذا تظل روسيا اللاعب الذي لا يتوقف عن طرح الأسئلة الصعبة في وقت يكتفي فيه الآخرون بالاستمتاع بالحلول السهلة أو الجاهزة، وهذا بحد ذاته هو الانتصار الحقيقي للمنطق الرياضي على التخمين الإحصائي في حلبة الصراع الرقمي العالمي الراهن، حيث الكلمة العليا ستكون لمن يمتلك المفاتيح، لا لمن يكتفي بفتح الأبواب، وحيث يصبح "الذكاء القابل للبرهان" هو المعيار الجديد للسيادة، متجاوزاً بذلك عصر الخوارزميات الغامضة نحو فجر جديد من الشفافية العلمية التي تتطلب شجاعة في الفكر ونزاهة في التطبيق. إن مستقبل البشرية يكمن في استعادة السيطرة على العقل الرقمي، حيث لا تظل الآلة سراً غامضاً، بل مرآة واضحة تعكس كرامة الإنسان وقدرته الفذة على تطويع الأرقام لخدمة مصيره التاريخي المشترك.

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

سوق العقارات في دبي تتماسك رغم صدمة الحرب

تراجع أحجام الصفقات يقابله استقرار في الأسعار وسط تحول في سلوك المستثمرين وتدفق انتقائي لرؤوس الأموال

أعمال التطوير مستمرة رغم المنغصات

دخلت سوق العقارات في دبي مرحلة تصحيح عقب حرب الشرق الأوسط، وفق تقديرات خبراء، مع تراجع ملحوظ في الصفقات، بينما أظهرت الأسعار صمودًا لافتًا وسط تحولات في سلوك المستثمرين وبروز تدفقات رأسمالية انتقائية.

دبي - تكشف بيانات حديثة عن دخول سوق العقارات في دبي مرحلة تصحيح تدريجي، بعد ثلاثة أشهر من الصراع الذي هزّ الشرق الأوسط، حيث تراجعت أحجام المعاملات بشكل ملحوظ، في حين أظهرت الأسعار مرونة نسبية.

وتبدو السوق في طور إعادة توازن، حيث يجتمع الحذر مع استمرار الثقة، مدعوماً بأساسيات قوية وتدفقات استثمارية انتقائية، ما يعزز قدرة السوق على التكيف مع التحديات الإقليمية والدولية دون فقدان جاذبيتها على المدى الطويل

وخلال السنوات الخمس التي سبقت الحرب، برزت الإمارة الخليجية كواحدة من أكثر الأسواق العقارية نشاطاً عالمياً، مدفوعة بطلب قوي من مشترين دوليين، لاسيما من الهند والمملكة المتحدة وروسيا، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار بنحو 70 في المئة.

غير أن هذا الزخم بدأ يتراجع في الأشهر الأخيرة، مع اتجاه المستثمرين إلى إعادة تقييم استراتيجياتهم في ظل تصاعد المخاطر الجيوسياسية.

وبحسب بيانات شركة ريدين المتخصصة في تحليل سوق العقارات، بلغت قيمة مبيعات الوحدات السكنية نحو 6.1 مليار دولار خلال مايو، مسجلة تراجعاً بنسبة 42 في المئة مقارنة بأبريل، كما تقلصت إلى نحو نصف مستوى فبراير، الذي بلغ 12.7 مليار دولار.

ورغم هذا التراجع الحاد في حجم المعاملات، فإن الأسعار لم تشهد انخفاضات مماثلة، إذ تراجعت أسعار المنازل قيد الإنشاء بأقل من 9 في المئة منذ بداية العام، بينما بقيت أسعار الوحدات الجاهزة مستقرة إلى حد كبير.

> **6.1**
> مليار دولار مبيعات الوحدات السكنية خلال مايو، بتراجع بنسبة 42 في المئة مقارنة بأبريل

وأكدت دائرة الأراضي والأملاك في دبي أن السوق لا تزال تستند إلى أساسيات قوية، مدعومة بقاعدة متنوعة من المستثمرين المحليين والدوليين، مشيرة إلى ثقتها في قدرة القطاع على الحفاظ على توازنه خلال الفترة المتبقية من العام.

ويأتي ذلك في وقت لا تزال فيه التوترات الإقليمية تلقي بظلالها على المشهد الاقتصادي، رغم التوصل إلى اتفاق مؤقت بين الولايات المتحدة وإيران لإعادة فتح مضيق هرمز، وهو ما ساهم في تهدئة نسبية للأسواق، دون أن يلغي حالة عدم اليقين بالكامل.

وتشير تقديرات ريدين إلى أن إجمالي قيمة المبيعات لا يزال قريباً من المستويات المسجلة في أبريل 2023، ما يعكس أن السوق لم تدخل في مرحلة انكماش حاد، بل تمر بعملية تكيّف تدريجي مع المتغيرات الجديدة.

وقد بدا هذا التباطؤ أكثر وضوحاً في سوق المشاريع العقارية قيد الإنشاء، التي تتطلب التزامات استثمارية طويلة الأجل، مقارنة بسوق الوحدات الجاهزة التي أظهرت تماسكا نسبياً.

وتستحوذ العقارات على الخارطة على نحو ثلاثة أرباع إجمالي المعاملات، حيث تراجعت مبيعاتها بنحو 50 في المئة لتصل إلى 4.3 مليار دولار خلال مايو مقارنة بالشهر السابق، ويُعزى جزء من هذا الانخفاض إلى عطلة عيد الأضحى.

ومع ذلك، فإن التراجع المحدود في القيم، والذي يقل عن 9 في المئة، يشير إلى أن الانخفاض ناتج أساساً عن تراجع عدد الصفقات، وليس عن خفض واسع للأسعار.

أما في السوق الثانوية، فقد انخفضت قيمة المعاملات بنسبة تقل عن 15 في المئة مقارنة بأبريل، في حين استقر متوسط الأسعار عند نحو 471 دولارا للقدم المربع، ما يعكس استمرار التوازن بين العرض والطلب في هذا القطاع.

ويرى لويس هارديغ، الرئيس التنفيذي لشركة بيتر هومز، أن السوق تمر بحالة "ترقب متبادل" بين المشترين والبائعين.

ونسبت وكالة بلومبيرغ إلى هارديغ قوله "يفضل المالكون الاحتفاظ بأصولهم بدلاً من البيع بأسعار منخفضة، بينما ينتظر المشترون فرصاً أفضل في حال حدوث مزيد من التصحيح."

ورغم هذا التباطؤ، لم يتوقف تدفق رؤوس الأموال نحو الأصول العقارية المتميزة في دبي، حيث أعلنت سوذبيز إنترناشونال ريالتي عن بيع قطعة أرض مطلة على الشاطئ بأكثر من 100 مليون دولار.

كما كشفت بروكفيلد أسيت مانجمنت عن خطط لإطلاق مشروع تطوير جديد في الإمارة، في خطوة تعكس استمرار الرهان على قوة السوق على المدى الطويل.

ومع ذلك، أثارت الحرب تساؤلات حول مدى تأثر دبي في حال استمرار حالة عدم الاستقرار الإقليمي، خاصة بعد تعرض المدينة خلال ذروة التصعيد لهجمات بالصواريخ والطائرات المسيّرة، رغم اعتراض معظمها.

ورغم عودة غالبية المقيمين الأجانب الذين غادروا مؤقتاً، فإن هشاشة وقف إطلاق النار واستمرار الهجمات المتفرقة على البنية التحتية أدخلا مستوى جديداً من المخاطر في حسابات المستثمرين.

وقد بدأ هذا التحول ينعكس على تركيبة المشترين، حيث تراجع نسبياً حضور المستثمرين من الهند والمملكة المتحدة، مقابل زيادة ملحوظة في الطلب من دول شرق أوسطية مثل لبنان ومصر، وفق ما أفاد به وسطاء عقاريون.

وأوضح أنوج كيجريوال من أناروك غروب أن المستثمرين الهنود أصبحوا أكثر حذراً وانتقائية، بعد أن كانوا يقودون موجة شراء قوية في السنوات الماضية، رغم استمرار جاذبية السوق بفضل المزايا الضريبية والعوائد الإيجارية المرتفعة.

وبشكل عام، تشير هذه التطورات إلى أن السوق تمر بمرحلة تصحيح صحي، وليست في طور انعكاس كامل للاتجاه الصعودي، خاصة في ظل التجارب السابقة، وعلى رأسها أزمة 2009 التي شهدت تراجعاً حاداً تجاوز 50 في المئة في الأسعار.

ومنذ تلك الأزمة، عززت دبي الإطار التنظيمي للسوق، عبر فرض دفعات مقدمة أعلى على المشترين الأجانب، وتقييد عمليات المضاربة قصيرة الأجل، ما ساهم في تقليل التقلبات الحادة.

لويس هارديغ

السوق تمر بحالة ترقب متبادل بين المشترين والبائعين

أنوج كيجريوال

المستثمرون الهنود باتوا أكثر حذرا رغم جاذبية السوق

محمد العبار

إعمار تركز على بيع المشاريع القائمة دون خفض الأسعار

كما لعبت سياسات الإقامة طويلة الأجل دوراً مهماً في تعزيز الاستقرار، من خلال تشجيع المقيمين على شراء منازل للسكن بدلاً من الاستثمار المضاربي.

في المقابل، استجاب المطورون العقاريون للمتغيرات الحالية عبر إبطاء وتيرة إطلاق المشاريع الجديدة، حيث قال محمد العبار، مؤسس إعمار العقارية، إن الشركة "تركز حالياً على بيع المشاريع القائمة دون خفض الأسعار، مع توقع تراكم الطلب لصالح الشركات الكبرى ذات السمعة القوية."

ومع ذلك، لجأ بعض المطورين الأصغر إلى تقديم خصومات لتحفيز الطلب، في وقت تشير فيه تقديرات بنك جي.بي مورغان إلى ضرورة نمو عدد سكان دبي لاستيعاب نحو 400 ألف وحدة سكنية متوقعة خلال السنوات المقبلة.

وتظل العوامل الهيكلية، مثل انخفاض الضرائب واستقرار البيئة التنظيمية، من أبرز عناصر الجذب للسوق، خاصة في فئات محدودة العرض مثل الأراضي الساحلية الفاخرة.

وأكد مهدي أمجد، مؤسس شركة أمنيات، أن أكثر من 85 في المئة من المشترين التزموا بسداد مستحقاتهم في مواعيدها، ما يعكس قوة السوق وقدرته على امتصاص الصدمات، مع تسجيل حالات محدودة فقط لطلب تأجيلات قصيرة. كما أشار عبدالعزيز الغرير، رئيس مجلس إدارة بنك المشرق، إلى أن البنوك أصبحت أكثر خبرة في التعامل مع القطاع العقاري، مع استقرار مستويات القروض المتعثرة وعدم تسجيل ارتفاعات ملحوظة في حالات التعثر، مقارنة بما حدث خلال أزمة 2009.

سداد الديون يُشعل تنافسا دوليا على قطاع الطاقة المصري

القاهرة - تعود مصر إلى واجهة المشهد العالمي للطاقة بخطوة مالية لافتة، بعد إعلانها سداد كامل مستحقات شركات النفط الأجنبية، في توقيت يتسم باحتدام المنافسة الدولية على موارد الغاز وإعادة تشكيل خريطة الإمدادات العالمية.

وبينما يسعى الغرب لتأمين بدائل للغاز الروسي، تتحول القاهرة إلى نقطة جذب رئيسية للاستثمارات، مستفيدة من احتياطيات واعدة، وبنية تحتية متقدمة، وموقع استراتيجي يضعها في قلب معادلة الطاقة بين الشرق والغرب.

ولا تمثل مصر مجرد سوق واعدة لإنتاج وتجارة الوقود الأحفوري، بل نقطة ارتكاز جيوسياسية تجمع بين الموارد الطبيعية والبنية التحتية والموقع الاستراتيجي.

ويقول المحللون إن هذا الوضع يجعلها محور تنافس متزايد بين القوى العالمية، وفرصة حقيقية للتحول إلى مركز إقليمي رائد في تجارة وتصدير الطاقة خلال السنوات المقبلة.

> **6.1**
> مليار دولار المتأخرات المستحقة لشركات النفط العالمية المسددة، وفق وزارة البترول

وأبرز تقرير تحليلي للكاتب سايمون واتكينز، نشرته منصة "أويل برايس"، أن إعلان وزير البترول والثروة المعدنية كريم بدوي سداد كامل مستحقات شركات النفط الأجنبية يمثل نقطة تحول إستراتيجية في مسار قطاع الطاقة المصري، ويعزز من جاذبية البلاد كمركز رئيسي للاستثمارات العالمية في النفط والغاز.

وتُعد هذه الخطوة بمثابة رسالة طمأنة مباشرة إلى المستثمرين الدوليين، بعد سنوات من التحديات المرتبطة بتأخر المدفوعات، حيث تفتح الباب أمام تدفقات رأسمالية جديدة، وتعيد رسم صورة مصر كشريك موثوق في قطاع الطاقة.

ويأتي ذلك في وقت تتسابق فيه القوى الكبرى لتأمين مصادر بديلة للغاز، عقب التحولات التي فرضتها الحرب الروسية الأوكرانية منذ فبراير 2022.

ورغم أن الاحتياطيات المؤكدة من الغاز الطبيعي في مصر تُقدّر بنحو 93 تريليون قدم مكعب، فإن التقديرات غير الرسمية تشير إلى إمكانات أكبر بكثير، قد تصل إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف هذا الرقم.

وتكتسب هذه التوقعات مصداقية إضافية مع تقديرات هيئة المسح الجيولوجي الأميركية، التي ترجح وجود نحو 286 تريليون قدم مكعب من الغاز غير المكتشف في حوض دلتا النيل وحده، ما يضع مصر ضمن أبرز مناطق النمو المحتملة عالميًا في قطاع الغاز.

ويرى واتكينز أن أهمية مصر لا تقتصر على حجم احتياطياتها، بل تمتد إلى موقعها الجغرافي الفريد، الذي يجعلها نقطة عبور رئيسية لتجارة الطاقة بين الشرق والغرب، فضلًا عن بنيتها التحتية المتقدمة، خاصة في مجال تسييل الغاز الطبيعي، ما يمنحها ميزة تنافسية نادرة في منطقة شرق المتوسط.

وقد أسهم سداد نحو 6.1 مليار دولار من المتأخرات في إزالة أحد أبرز العوائق أمام توسع الشركات الدولية، ما يمهد الطريق أمام دورة استثمارية جديدة تقودها شركات غربية كبرى.

ويتزامن ذلك مع تزايد اهتمام الصين وروسيا بتعزيز وجودهما في السوق المصرية، ضمن سباق جيوسياسي أوسع على موارد الطاقة.

وفي موازاة ذلك، شرعت الحكومة المصرية في تطبيق حزمة إصلاحات اقتصادية عميقة تهدف إلى تحصين الاقتصاد من تقلبات سوق الطاقة العالمية.

وتشمل هذه الإجراءات تقليص دور الدولة في المشاريع، وزيادة مشاركة القطاع الخاص، إلى جانب تحرير سعر الصرف، وهي خطوات تستهدف الحد من مخاطر تراكم الديون وضمان استدامة التدفقات المالية.

كما عززت الاتفاقيات مع المؤسسات المالية الدولية، وعلى رأسها صندوق النقد الدولي، الذي وافق في مارس 2024 على توسيع برنامج دعم بقيمة 8 مليارات دولار، من قدرة مصر على تنفيذ هذه الإصلاحات، بدعم إضافي من البنك الدولي والاتحاد الأوروبي.

سايمون واتكينز

الإيفاء بالالتزامات المالية بمثابة رسالة طمأنة للمستثمرين

وعلى صعيد الاستثمارات، تستعد شركة شل لبدء الإنتاج من حقل مينا غرب في البحر المتوسط، مع توقعات ببلوغ طاقته الإنتاجية في المرحلة الأولى نحو 160 مليون قدم مكعب يوميًا، ما يعزز إمدادات السوق المحلية ويخفف من ضغوط الاستيراد.

في المقابل، تواصل شركة شيفرون الأميركية توسيع عملياتها عبر تطوير حقل نرجس العملاق، الذي يمثل أحد أبرز الاكتشافات الحديثة، إلى جانب تعزيز وجودها في مناطق الامتياز البحرية العميقة.

كما التزمت شركة إيني الإيطالية بخطة استثمارية ضخمة بقيمة 8 مليارات دولار، تشمل تسريع تطوير الاكتشافات الجديدة في شرق المتوسط، في حين تعمل شركة بي.بي على ضخ استثمارات إضافية بقيمة 5 مليارات دولار، استكمالًا لحضورها التاريخي في دلتا النيل.

ووسط هذا التنافس، تتحرك الصين بخطوات متسارعة نحو تعزيز حضورها في قطاع التنقيب والإنتاج، بعد أن ركزت سابقًا على البنية التحتية والخدمات اللوجستية، وهو ما يعكس تحولًا استراتيجيًا في أولوياتها داخل السوق المصرية.

أما روسيا، فتسعى إلى ترسيخ شراكتها مع مصر كمنفذ استراتيجي إلى أسواق أفريقيا والشرق الأوسط، خاصة في ظل العقوبات الغربية، مستفيدة من استثمارات قائمة في قطاع الغاز، ومشاريع كبرى مثل محطة الضبعة النووية.

قيمة الاقتصاد الأخضر تتجاوز عتبة 10 تريليونات دولار عالميًا

لندن - تُظهر أحدث المؤشرات تجاوز الاقتصاد الأخضر على مستوى العالم قيمة قياسية بلغت نحو 10 تريليونات دولار، في مؤشر يعكس تسارع التحول العالمي نحو الاقتصاد منخفض الكربون واتساع نطاق الاستثمارات المرتبطة بالاستدامة.

ويرى محللون أن توسع الاقتصاد الأخضر إلى هذا المستوى يعكس مرحلة جديدة من النضج، حيث لم يعد الاستثمار في المناخ مرتبطًا فقط بالسياسات البيئية، بل أصبح جزءًا من حسابات الربحية والقدرة التنافسية في الأسواق العالمية، ما يعزز احتمالات استمرار هذا النمو خلال السنوات المقبلة.

ويضم هذا الاقتصاد قطاعات الأعمال لدى الشركات العالمية المدرجة التي تحقق إيرادات من حلول مرتبطة بالمناخ.

ووفقًا لتقرير صادر عن مجموعة بورصة لندن (آي.أس.إي.جي) الأربعاء، ارتفعت الإيرادات المرتبطة بالمنتجات والخدمات البيئية إلى 5.5 تريليونات دولار خلال العام الماضي، مسجلة أسرع وتيرة نمو منذ عام 2022.

وقد جاء هذا الزخم، بحسب ما نقلته وكالة بلومبيرغ، في وقت تتزايد فيه أهمية الحلول المناخية ضمن استراتيجيات الشركات العالمية.

وتعرّف آي.أس.إي.جي الاقتصاد الأخضر بأنه نسبة الإيرادات التي تحققها الشركات من الحلول البيئية، بدءًا من الطاقة البديلة والمياه النظيفة، وصولًا إلى كفاءة الطاقة وتقنيات إعادة التدوير، ما يعكس اتساع نطاق القياس ليشمل مختلف مكونات الاقتصاد منخفض الانبعاثات.

ويعكس هذا النمو تحولًا تدريجيًا في بنية الاقتصاد العالمي، إذ لم تعد القطاعات الخضراء تقتصر على الطاقة المتجددة فقط، بل امتدت لتشمل كفاءة الطاقة وإدارة المياه وإعادة التدوير وتطوير تقنيات النقل المستدام، ما أدى إلى توسع قاعدة الإيرادات المرتبطة بالاستدامة عبر قطاعات متعددة.

وبحسب التقرير، فإن المستثمرين كافأوا هذا الأداء، إذ أوضحت آي.أس.إي.جي أن الشركات التي تحقق أكثر من 20 في المئة من إيراداتها من الأنشطة الخضراء تفوقت بشكل ملحوظ في أدائها على السوق الأوسع للأسهم العالمية، ما يعكس تنامي الثقة في جدوى الاستثمار المستدام على المدى الطويل.

جاكو كوروشي

على المستثمرين المترددين إعادة مراجعة خططهم القادمة

كما قفز مؤشر التحول العالمي للطاقة النظيفة التابع لمؤشر أس آند بي بأكثر من 80 في المئة منذ نهاية عام 2024، ما يمثل أكثر من ضعف العائد الذي حققه مؤشر أس آند بي 500 خلال الفترة نفسها، في إشارة إلى الزخم المتزايد الذي يشهده قطاع الطاقة النظيفة.

ورغم تصاعد التوترات الجيوسياسية وتراجع بعض الاقتصادات الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة، عن أولويات المناخ في بعض السياسات، فإن الصناعات الخضراء أظهرت قدرة لافتة على الصمود والاستمرار في تحقيق النمو، مدعومة بتحول تدريجي في نظرة الأسواق إلى ملف الطاقة.

ويُعزى هذا الأداء جزئيًا إلى دخول تحول الطاقة مرحلة أكثر نضجًا، باتت فيها اعتبارات أمن الطاقة والقدرة التنافسية الاقتصادية محركات رئيسية لا تقل أهمية عن أهداف خفض الانبعاثات الكربونية، وفقًا لتحليل آي.أس.إي.جي.

وقال جاكو كوروشي، الرئيس العالمي لأبحاث الاستثمار المستدام في آي.أس.إي.جي في مقابلة مع بلومبيرغ إن النمو الأخير يجب أن يدفع المستثمرين الذين تراجع حماسهم تجاه الأسهم الخضراء إلى "إعادة النظر بشكل عاجل" في حجم تعرضهم لهذه الاستثمارات، في ظل تغير ديناميكيات السوق العالمية.

وأجرى التقرير تقييمًا شاملًا لأداء أكثر من 21 ألف شركة حول العالم، بهدف قياس مدى اعتماد إيراداتها على الأنشطة المرتبطة بالاستدامة، في واحدة من أوسع قواعد البيانات الخاصة بالاقتصاد الأخضر على مستوى الأسواق المالية العالمية.

أعمال بيئية مكاسبها مزدوجة

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

مواقع الأخبار التقليدية «تشيخ» ديموغرافياً وتفقد شباب العالم

القيمة المهنية تصمد في مواجهة المنصات الرقمية: مشهد متناقض لمستقبل الأخبار

بناءً على التقرير السنوي الصادر عن معهد رويترز لدراسة الصحافة لعام 2026، تواجه الصحافة العالمية وصناعة الأخبار نقطة تحول جذري تتسم بالاضطراب وعدم اليقين.

لندن - تفوقت شبكات التواصل الاجتماعي ومنصات الفيديو عالميا كمصدر رئيسي للاستهلاك الإخباري بنسبة 54 في المئة، متجاوزةً بذلك المواقع الإلكترونية والتطبيقات المملوكة للمؤسسات الإعلامية (51 في المئة)، وشاشات التلفزيون، في تحول تاريخي في عادات الجمهور يضع المؤسسات الإعلامية التقليدية أمام تحديات متزايدة في الوصول إلى الجمهور وتحقيق الإيرادات.

هذا التحول الذي رصده التقرير السنوي الصادر عن معهد رويترز لدراسة الصحافة لعام 2026، لم يعد مقتصرًا على الفئات الشابة بل طال جميع الأعمار، مما يضعف قدرة وسائل الإعلام التقليدية على جذب الجمهور إلى منصاتها المستقلة. وتشير البيانات إلى أن 12 في المئة من المستخدمين باتوا يعتمدون حصرياً على شبكات التواصل الاجتماعي للحصول على الأخبار بشكل عابر.

إن تقدم منصات الطرف الثالث لم يكن مجرد طفرة مفاجئة، بل جاء نتيجة تراجع حاد ومستمر؛ حيث انخفض الاعتماد على نشرات التلفزيون التقليدية بمقدار 13 نقطة مئوية منذ عام 2020 ليصل إلى 52 في المئة. وبالمثل، تراجعت المواقع والتطبيقات الرسمية للمؤسسات الإعلامية بمقدار 12 نقطة مئوية لتستقر عند 51 في المئة. وتظهر البيانات تباينا جيليا صارخا، إذ أفاد أكثر من نصف الشباب (52 في المئة) في الفئة العمرية بين 18 و24 عاماً بأن شبكات التواصل، ومنصات الفيديو، وروبوتات الذكاء الاصطناعي هي مصدرهم الرئيسي للأخبار.

ويوسع التقرير هذه الفجوة مؤكداً أن المواقع الإخبارية المملوكة للمؤسسات بدأت "تشيخ" ديموغرافيا ولم تعد المصدر الأول لأي فئة عمرية شابة عالميا.

كما كشف التقرير أن 56 في المئة من الشباب الذين لم يقرؤوا صحيفة ورقية في أسبوع الاستبيان، لم يسبق لهم في حياتهم قط أن أقبلوا على قراءة الصحف بشكل منتظم، بينما بلغت هذه النسبة 21 في المئة بالنسبة لتلفزيون الأخبار.

وعلى الرغم من صعود المنصات البصرية، أظهر التقرير أن منصة فيسبوك استعادت زخمها مجدداً لتبقى الشبكة الأكبر عالميا لاستهلاك الأخبار بنسبة 43 في المئة هذا العام، ويرجع ذلك إلى قرار شركة "ميتا" بزيادة حجم المحتوى الإخباري، وهو نمو تركز بين المستخدمين فوق 45 عاما.

> **الثقة العامة في الأخبار سجلت أدنى مستوياتها التاريخية منذ بدء القياس عام 2015، حيث تراجعت إلى 37 في المئة عالمياً**

ولم يكن هذا "الزحف الرقمي" موحدا؛ فمن بين الأسواق الـ48، نجحت المواقع الرسمية في الحفاظ على صدارتها في 18 سوقاً فقط، تصدرتها أربع دول آسيوية وهي: اليابان، كوريا الجنوبية، تايوان وسنغافورة. وتكمن خطورة هذا التحول في غياب "النية المسبقة"؛ فباستثناء منصتي إكس ويوتيوب، فإن غالبية مستخدمي فيسبوك، إنستغرام وتيك توك يصادفون الأخبار بالصدفة. وتضاعفت نسبة الذين يعتمدون حصرياً على شبكات التواصل الاجتماعي للحصول على الأخبار بشكل عابر من 6 في المئة عام 2020 إلى 12 في المئة عام 2026.

يسير استهلاك الفيديو عبر الإنترنت بخطى متسارعة، حيث يشاهد 77 في المئة من الجمهور العالمي المقاطع الإخبارية الرقمية أسبوعياً. وتفوقت المشاهدة الرقمية على نشرات التلفزيون التقليدية في 45 سوقاً من أصل 48، وتعد ألمانيا وهولندا والدنمارك الاستثناءات الوحيدة التي لا يزال التلفزيون يحافظ فيها على صدارته. ومع ذلك، فإن هذا النمو يصب في مصلحة المنصات الخارجية مثل يوتيوب، تيك توك وإنستغرام، في حين تراجع استهلاك الفيديو على المواقع الرسمية للمؤسسات الإعلامية بمقدار 5 نقاط مئوية.

بات ربع الجمهور العالمي (27 في المئة) يحصل على الأخبار من صناع محتوى ومؤثرين مستقلين متخصصين. ويرى المتابعون أن هؤلاء المؤثرين يقدمون المحتوى بأسلوب أكثر ترفيهاً وسهولة في الفهم مقارنة بالصحفيين التقليديين. ورغم أن الجمهور يصنف صناع المحتوى كأقل حيادية ومصداقية، إلا أنه يفضلهم بسبب عفوية الطرح. وتعد أسواق آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية الأكثر تأثرا بهذه الظاهرة.

بالتوازي، تشهد روبوتات الدردشة المدعومة بالذكاء الاصطناعي نموا ملحوظا، حيث ارتفعت نسبة استخدامها للأخبار إلى 10 في المئة عالميا. وتضاعف الاستخدام في دول مثل جنوب كوريا، إسبانيا، واليونان، حيث يفضل المستخدمون ميزاتها التفاعلية والقدرة على طرح أسئلة تعقيبية لاستيضاح خلفيات القصص المعقدة والترجمة الفورية.

سجلت الثقة العامة في الأخبار أدنى مستوياتها التاريخية منذ بدء القياس عام 2015، حيث تراجعت إلى 37 في المئة عالمياً بعد أن انخفضت في 29 سوقا إعلاميا. وفي الولايات المتحدة، لا يثق في الأخبار سوى 25 في المئة من المواطنين. يرتبط هذا التراجع بالاستقطاب السياسي المتزايد والهجمات المباشرة من السياسيين على وسائل الإعلام. بالتوازي مع ذلك، ارتفعت المخاوف بشأن الأخبار الزائفة والتزييف العميق عبر الإنترنت لتصل إلى 62 في المئة. ونتيجة لهذا الإحباط، هبطت نسبة المهتمين بشدة بالأخبار بمقدار 13 نقطة مئوية منذ عام 2021، مع زيادة واضحة في ظاهرة "التهرب المتعمد" من متابعة الأحداث الجارية.

استقرت نسبة المستخدمين المستعدين للدفع مقابل الأخبار الرقمية عند 17 في المئة في الدول العشرين التي تطبق أنظمة الاشتراكات المدفوعة. ومع انخفاض حركة المرور القادمة من محركات البحث (أزمة Google Zero)، تواجه المؤسسات صعوبة بالغة في جذب مشتركين جدد، مما دفع منصات بارزة مثل "نيويورك تايمز" إلى التركيز على إستراتيجيات الحزم المشتركة لضمان استدامة نموذجها المالي.

رغم القلق السائد، تضمن التقرير نقاطاً مضيئة تثبت مرونة الصحافة؛ فنصف المشتركين عالمياً (46 في المئة) يدفعون المال بدافع قيمي وأخلاقي وهو "دعم الصحافة لأهميتها الحيوية للمجتمع"، وارتفعت هذه النسبة لتبلغ 63 في المئة لدى الكنديين. وحققت دول مثل النرويج (40 في المئة) والسويد (32 في المئة) مستويات قياسية في الدفع، بينما برزت أيرلندا وأستراليا كأكبر الأسواق نموا في الاشتراكات.

العادات تغيرت

واستمرت مؤسسات كبرى في تحقيق نمو قوي، ونجحت تجارب محليّة مثل شبك في بناء آلاف الاشتراكات القائمة على العمق والارتباط بالمجتمع.

كما أظهر الجمهور تمسكا قويا بالمبادئ المهنية، حيث يفضل 48 في المئة الأخبار الحيادية التي لا تتبنى وجهة نظر معينة، متفوقين بأكثر من الضعف على من يفضلون الأخبار المتحيزة (20 في المئة). وأخيرا، أثبتت البيانات أن علاقة صناع المحتوى بالصحافة تكاملية؛ فـ3 في المئة فقط يعتمدون عليهم حصريا، بينما تبين أن متابعي المؤثرين يستهلكون ويكتشفون منصات الصحافة التقليدية بمعدلات أعلى بكثير من المتوسط العام، مما يجعلهم بوابة لتوسيع الوصول الإخباري.

أردوغان يحصّن إرثه بالقمع الثقافي: من الكوميديين إلى المؤثرين

أنقرة - احتجزت الشرطة الكوميدية توبا أولو ووجهت إليها تهمة "التحريض على العداء العام" بعد عرض كوميدي ارتجالي أشارت فيه إلى زواج السلطان العثماني سليمان القانوني من إحدى محظياته.

وتلاحق السلطات التركية أشخاصًا بتهم مثل إهانة القيم الدينية أو المسؤولين الحكوميين، والتقليل من شأن قوات الدولة، أو نشر معلومات مضللة، في محاولة لحماية البلاد من القوى الثقافية التخريبية.

ويُنظر إلى هذه الحملات القمعية على أنها وسيلة للرئيس رجب طيب أردوغان لتعزيز قبضته على السلطة من خلال قمع المعارضة، حيث تستهدف فئات متنوعة من الناس، بمن فيهم موسيقيون ومؤثرون على مواقع التواصل الاجتماعي ورجال أعمال.

يُنظر إلى هذه الحملات على أنها وسيلة للرئيس رجب طيب أردوغان لتشديد قبضته على السلطة من خلال قمع المعارضة، حيث تستهدف فئات مختلفة من الناس، من بينهم موسيقيون ومؤثرون على مواقع التواصل الاجتماعي ورجال أعمال.

تضمنت فقرة كوميدية قدمتها الممثلة توبا أولو موضوع المواعدة. وقالت فيها إن بعض الناس يتزوجون ببساطة من شركائهم في علاقات عابرة هذه الأيام.

وأضافت مازحةً أن هذا كان كافياً للسلطان العثماني سليمان القانوني في القرن السادس عشر، الذي تزوج من محظيته.

قد تكون هذه النكتة لاقت استحسان بعض الجمهور، لكنها لم تلقَ قبولاً لدى السلطات في تركيا، موطن أولو. فبعد عرض قدمته في إسطنبول مطلع هذا العام، احتجزتها الشرطة لعدة أيام. وفي مايو، وجهت إليها النيابة العامة تهمة "التحريض على العداء العام" وتطالب بسجنها لمدة تصل إلى ثلاث سنوات. ورفضت أولو التعليق على هذا الخبر في ظل استمرار جلسات الاستماع التمهيدية.

وقد شددت السلطات التركية قبضتها على معارضي الرئيس رجب طيب أردوغان السياسيين منذ إعادة انتخابه قبل ثلاث سنوات. لكن الآن، اتسع نطاق الأشخاص الذين يُعتبرون تهديداً.

يتعرض الموسيقيون والمؤثرون على مواقع التواصل الاجتماعي ورجال الأعمال لاستهداف متزايد، ظاهريًا لحماية البلاد من القوى الثقافية التخريبية. ويلاحق المدعون العامون أشخاصًا بتهم مثل إهانة القيم الدينية أو المسؤولين الحكوميين، والتقليل من شأن قوات الدولة، أو نشر معلومات مضللة.

ومع تراجع التأييد الشعبي للرئيس في أعقاب أزمة غلاء المعيشة المستمرة منذ سنوات، أصبحت الاعتقالات أيضًا وسيلة لأردوغان لتعزيز قبضته على السلطة التي دامت 23 عامًا من خلال قمع المعارضة، حسبما ذكرت غونول تول، الباحثة في معهد الشرق الأوسط في واشنطن.

أولو واحدة من بين كثيرين ينتظرون معرفة مصيرهم. شملت الحملة شخصيات متنوعة، من مغنٍّ صوّر نفسه وهو يرتدي الحجاب، إلى مُقدّم برامج حوارية مازح بشأن الكحول، وصولاً إلى رئيس تنفيذي يُزعم أنه أرسل بريدًا إلكترونيًا إلى موظفيه يحذرهم فيه من الاحتفال ببداية شهر رمضان.

وقالت تول "لطالما اشتكى أردوغان من عجزه عن فرض هيمنة ثقافية" تُضاهي النفوذ السياسي لحزبه العدالة والتنمية. وأضافت "إنه يُعيد تعريف الأمة التركية وفقًا لرؤيته". ويتزايد التضييق على التعبير عن الآراء المخالفة لهذه الرؤية أو المنتقدة للحملات القمعية الأخيرة.

وفي بيان لوكالة بلومبيرغ، قالت وزارة العدل إن القضاء يتصرف في حدود صلاحياته في المسائل التي تُثير غضبًا شعبيًا. وأضافت أن جميع الادعاءات يُنظر فيها من قِبل سلطات قضائية مستقلة ونزيهة.

أعلنت الوزارة أنه لا توجد أي إجراءات قانونية ضد التعبير عن الأفكار التي تندرج ضمن حرية التعبير، وأن النيابة العامة تركز فقط على الأفعال التي تُعرّف بأنها جرائم بموجب القوانين التي تهدف إلى حماية النظام والوئام. وأضافت أن جميع التقييمات القانونية تتم وفقًا لقانون العقوبات، ويجب جمع الأدلة قبل إزالة أي محتوى إلكتروني.

لطالما انتقد الاتحاد الأوروبي، الذي أصبحت تركيا مرشحة لعضويته الكاملة عام 1999، رئاسة أردوغان المركزية، مشيرًا إلى افتقار البلاد لفصل السلطات، ورفضها تنفيذ العديد من أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، و"الضغط القضائي المفرط" الذي تمارسه على سياسيي المعارضة.

والآن، في ظل سعي أردوغان لحماية إرثه السياسي، يحوّل نظام القضاة والمدعين العامين تركيا إلى ما وصفه الرئيس بـ"دولة القضاء".

قاد المدعي العام في إسطنبول أكين غورليك حملة قمع استهدفت المئات من شخصيات المعارضة. وفي فبراير، عيّن أردوغان غورليك وزيرًا للعدل.

يقول كرم ألتيبارماك، أستاذ القانون ومؤسس جمعية حرية التعبير في إسطنبول، "هناك تأثير مرعب يرسل رسالة، ويرسم خطا فاصلا، ويُشعر الجميع بنوع من الضغط. لقد انقسمت تركيا أيديولوجيا إلى قسمين. يُشجّع أحد الجانبين باستمرار، بينما يتعرض الآخر لضغوط دائمة".

في العام الماضي، هزّت تركيا حادثة اعتقال أكرم إمام أوغلو، رئيس بلدية إسطنبول ذي الشخصية الكاريزمية، والذي كان يُنظر إليه على أنه المنافس الأقوى لأردوغان. ينفي إمام أوغلو التهم الموجهة إليه، بما في ذلك الفساد والتجسس ودعم الإرهاب، ويصفها بأنها ذات دوافع سياسية. ولا يزال رهن الاعتقال، حيث يطالب المدعون العامون بأحكام تصل إلى آلاف السنين.

في غضون ذلك، انقسم حزب الشعب الجمهوري الذي يتزعمه بعد حكم قضائي صدر في مايو أبطل نتائج مؤتمر الحزب، ما أدى فعلياً إلى استبدال زعيمه بسلف أقل شعبية بكثير، يتهمه منتقدوه بالخضوع لإرادة أردوغان.

وقد شيدت تركيا قاعة محكمة ضخمة في مجمع سجن سيليفري مترامي الأطراف على مشارف إسطنبول، حيث يُحتجز ويُحاكم رؤساء بلديات ومسؤولون معارضون. وذكرت قناة "أخبار" الموالية للحكومة في أوائل مايو أن القاعة تتسع لـ555 متهمًا و1268 محاميًا و472 مشاهدًا في أي وقت.

وتُعدّ هذه التطورات مؤشرًا على تزايد تعصب الحكومة تجاه المعارضة، وكيف باتت هذه المعارضة تُعرّف بأنها أي شيء يتعارض مع مفهوم أردوغان للأمة، كما قالت ليزل هنتز، الأستاذة المساعدة في كلية جونز هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة. وأضافت "إنه يريد فرض رقابة على صورة المواطن التركي المثالي والتحكم بها".

حجر على الأفكار

البرلمان المغربي يصادق على مشروع قانون تنظيم المجلس الوطني للصحافة

الرباط - صادق مجلس النواب المغربي بالأغلبية على مشروع القانون رقم 09.26 المتعلق بإعادة تنظيم المجلس الوطني للصحافة، وذلك بـ70 صوتا مؤيدا مقابل 25 صوتا معارضا. كما حظي المشروع بمصادقة مجلس المستشارين في منتصف يونيو 2026. يأتي هذا التصويت بعد قرار المحكمة الدستورية في فبراير الماضي الذي أبطل عدة مواد من النسخة السابقة لعدم دستوريتها، مما فرض إعادة صياغة النص ليتوافق مع المقتضيات الدستورية.

ويهدف مشروع القانون الجديد إلى تعزيز التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة وتحسين الحكامة والشفافية داخل المجلس الوطني للصحافة. كما يسعى إلى تحديد معايير واضحة لصفة الصحفي المهني وتمكين المجلس من أداء مهامه في تأطير المهنة واحترام أخلاقياتها، وسد الفراغات القانونية الناتجة عن القرار الدستوري السابق.

وقد دافع وزير الشباب والثقافة والتواصل محمد المهدي بنسعيد عن النص معتبراً إياه خطوة مهمة لتعزيز استقلالية القطاع وضمان استمرارية عمل المجلس كمؤسسة وطنية.

وفي هذا السياق، أكد بنسعيد أن المشروع يمثل محطة مفصلية في مسار تحديث المشهد الإعلامي الوطني وتعزيز مبادئ الحكامة والشفافية والمسؤولية. وأوضح الوزير أن الحكومة تفاعلت إيجابياً مع ملاحظات المحكمة الدستورية، مشدداً على أن النص يضمن استمرارية المجلس كمكسب مؤسساتي ويحول دون أي فراغ قانوني، مع تعزيز التنظيم الذاتي في مواجهة التحولات الرقمية والاقتصادية في القطاع.

واعتبر رئيس لجنة التعليم والشؤون الثقافية والاجتماعية بمجلس المستشارين عبدالرحمن الدريسي أن مشروع القانون رقم 09.26 يشكل خطوة مهمة لمعالجة الإشكالات التي يعرفها قطاع الصحافة والنشر. وأوضح في تصريح صحفي أن مصادقة اللجنة جاءت بعد نقاش مستفيض وتفصيلي لمختلف مقتضيات مشروع القانون.

وأكد الدريسي على أهمية الإسراع بإخراج هذا النص إلى حيز الوجود، معتبراً إياه مدخلاً أساسياً لتجاوز الوضعية الحالية التي يمر منها قطاع الصحافة والنشر. كما عبر عن أمله في استكمال باقي الإجراءات القانونية والمساطر التشريعية في أقرب الآجال لضمان تفعيل المجلس واستمراريته كمؤسسة وطنية.

> **الوسط الصحفي المغربي ينتظر كيفية تطبيق هذه المقتضيات على أرض الواقع، ومدى قدرتها على تعزيز مصداقية المهنة**

ورغم المصادقة بالأغلبية، أثار النص جدلاً ملحوظاً داخل أوساط المهنيين والمعارضة. وانتقدت أحزاب المعارضة بعض المقتضيات المتعلقة بتركيبة المجلس وآليات تعيين أعضائه وحدود تدخل الإدارة في عمله، محذرة من تأثير محتمل على استقلاليته. كما أعربت منظمات معنية بحرية الصحافة عن أسفها لعدم إجراء مشاورات واسعة وشفافة مع جميع الفاعلين في القطاع قبل إعداد النسخة النهائية.

ويأتي هذا القانون في سياق تحديات يواجهها المشهد الإعلامي المغربي، أبرزها الأزمة الاقتصادية التي تعصف بوسائل الإعلام التقليدية، وانتشار الإعلام الرقمي غير المنظم، بالإضافة إلى الحاجة المتزايدة إلى تعزيز المسؤولية المهنية دون المساس بحرية التعبير.

ويمثل النص محاولة لتحقيق توازن بين رغبة الدولة في تنظيم أفضل للقطاع وبين مطالب المهنيين باستقلالية حقيقية للمجلس.

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

الشرق الأوسط.. أرض الفرص الضائعة

كفى حروبا.. غزة لا تستحق أن تكون ركاما

ربى عياش
إعلامية فلسطينية

لو حسبنا حجم الأموال التي صُرفت على الحروب والصراعات وسباقات التسلح خلال العقود الأخيرة، وخصوصا خلال السنوات القليلة الماضية، لوجدنا أنفسنا أمام أرقام تكفي لإحداث تحولات تاريخية في حياة مئات الملايين من البشر. تريليونات الدولارات أُنفقت على الدمار والمواجهات العسكرية والاستعداد للحروب والاستثمار في التطرف والإرهاب والكراهية والصراعات.. من حرب روسيا وأوكرانيا إلى حرب إيران والولايات المتحدة وإسرائيل، إلى حرب إسرائيل على غزة والضفة ولبنان، وحرب العراق وصراعاته الداخلية، وسوريا وحروبها المتتالية، وحرب السودان وحروب اليمن، وصراعات داخلية وخارجية طالت الجميع، العدو والصديق، والدائرة مع الأسف تتسع.

حروب تم الاستثمار بها فالتهمت مستقبل الشعوب، بينما كان من الممكن أن تتحول كل هذه الموارد المبددة إلى مدارس وجامعات ومستشفيات ومراكز أبحاث وبنية تحتية وفرص عمل ومشاريع تنموية قادرة على تغيير مستقبل أجيال كاملة. لذا، كيف كان سيبدو عالمنا لو استثمرنا جزءاً من هذه الموارد في الإنسان بدلاً من أدوات الهدم والقتل؟

السلام لا يعني فقط غياب الحرب بل بناء مؤسسات قوية وتحقيق عدالة اجتماعية واقتصادية وتطوير التعليم وضمان الحريات التي تسمح بالتعبير والمشاركة والتنوع البنّاء

خلال السنوات الأخيرة تجاوز الإنفاق العسكري العالمي مستويات غير مسبوقة، وترافقت معه حروب وصراعات خلفت خسائر بشرية ومادية هائلة. مدن دُمّرت، ومجتمعات تشرذمت، وملايين البشر تحولوا إلى نازحين ولاجئين، البطالة في تزايد، الفقر يتفاقم، الجهل يتسع، وفوضى خلّاقة في العديد من الدول تثور كبراكين تعجز الأطراف عن احتوائها وإدارتها، حتى امتدت الآثار الاقتصادية إلى مناطق بعيدة عن ساحات القتال نفسها. ولم تكن الكلفة مقتصرة على ما أُنفق مباشرة على العمليات العسكرية، بل شملت أيضاً ما ضاع من فرص للتنمية والاستقرار والنمو كان يمكن أن تستفيد منها دول وشعوب بأكملها.

لو تم توجيه جزء من هذه الموارد نحو التعليم، لارتفعت مستويات المعرفة والمهارات والإنتاجية في مجتمعات كاملة. ولو استُثمرت في الصحة، لأمكن إنقاذ حياة ملايين البشر وتحسين جودة حياتهم، واكتشاف أدوية لعلاج أمراض مزمنة متفاقمة، بدلاً من قتلهم بشكل عبثي ومباشر. ولو ذهبت إلى البنية التحتية والابتكار والتكنولوجيا، لخلقت فرصاً اقتصادية واستثمارية أكثر استدامة وربحية من أي حرب أو صراع.

هنا لا أتحدث عن عالم طوباوي ولا عن حلم مثالي منفصل عن الواقع، بل عن طرح عقلاني وإنساني ومنطقي أكثر من فكرة الدمار والإبادة والاستنزاف وسنوات الضياع التي نعيش في كنفها. فالاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الأعلى عائداً على المدى الطويل، بينما تستهلك الحروب الموارد، وتراكم الأزمات، وتؤجل التنمية لعقود، وتؤثر على أجيال قادمة ستدفع ثمن كل قرار مجنون يُتخذ اليوم.

كان يفترض أن نعيش في عالم يتمتع فيه الجميع بحقوقهم الأساسية، ويحصلون على احتياجاتهم وفرصهم، ويكون لديهم من الوقت والقدرات والموارد لبناء واقع ومستقبل أفضل، بدلاً من قبول عالم تتسع فيه الفجوات الاقتصادية بشكل هائل، ويتركز فيه قدر كبير من الثروة والنفوذ في أيدي قلة صغيرة، بينما تكافح أعداد هائلة من البشر لتأمين أساسيات الحياة. والغالبية باتت ترى أن هذا الواقع هو الطبيعي والمنطق العادي للدول والهياكل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

هذه الفجوات ليست ظاهرة طبيعية أو قدراً محتوماً، بل هي نتاج قرارات سياسية واقتصادية وتاريخية راكمت النفوذ والثروة لدى البعض على حساب الآخرين، ومكنت قلة من التمتع بامتيازات استثنائية، بينما ملايين البشر يدفعون ثمن الحروب والصراعات والقرارات التي لم يشاركوا في صنعها من البداية.

سيقول البعض إن أمن الدول ليس رفاهية، وإن العالم لا يعيش ضمن منظومة مثالية تضمن السلام للجميع. وهذا صحيح، فالدول تتسلح لأنها تخشى التهديدات أو الاعتداءات أو فقدان قدرتها على حماية مصالحها وشعوبها، أو بسبب الصراع على الموارد والسلطة، أو صراع تاريخي تراكمي قديم بين الأيديولوجيات والأفكار والعقائد والاختلافات الطائفية والدينية والفكرية. والإنسان مع الأسف يعيش في ظل مجتمعات قائمة على دوامة الخوف المتبادل، حيث كل طرف يتسلح خوفاً من الآخر، فيرد الآخر بالمزيد من التسلح، وتستمر الحلقة بلا نهاية واضحة.

لكن حتى مع الاعتراف بهذه التعقيدات وأكثر، لا يمكن اعتبارها مبرراً لهذا الحجم الهائل من الدمار والتشظي الذي يدفع الناس ثمنه يومياً، خاصة اليوم في ظل عام 2026، حيث تتوفر كافة المواد والتقنيات والتكنولوجيا والأفكار لبناء عالم أفضل. لكن البديل كان المزيد من الصراعات!

كل ذلك كان نتيجة تراكمات من الفشل السياسي، وسوء الإدارة، والفساد، والصراع على الموارد، إضافة إلى الاستثمار في الأيديولوجيات المتطرفة والخطابات القائمة على التخويف والكراهية وإلغاء الآخر، وإقصاء الرأي والفكر والإنسانية، وجعل مفردات كالعدالة والمساواة والقانون والشفافية والمسؤولية وكأنها تنتمي إلى عالم خرافي.

في حين ما زالت هناك قوى ومؤسسات تبني نفوذها ومصالحها على استمرار الحروب والصراعات. وما زالت هناك آلات إعلامية كاملة تُستخدم لتغذية الانقسام ونشر الخوف وتحويل الخصوم إلى أعداء مطلقين. وما زالت أصوات كثيرة تدفع نحو التصعيد بدلاً من البحث عن مساحات مشتركة تسمح بالتوقف عن تعزيز هذا الجحيم، والبدء في ضمان الهدوء والاستقرار.

لأنه بعد كل هذه الحروب، وبعد كل هذا الظلام، من ينادي بتعويض كل من خسر نفسه؟ هل يُعاد الأموات من موتهم؟ ومن ينادي بتعويض كل من خسر أملاكه وذكرياته ومستقبله؟ هل من أحد يكترث؟ ومن ينادي بكل من خسروا أجزاء من أجسادهم وأرواحهم وقلوبهم؟ من ينتشل الناس من فقرهم؟ ومن يعيدهم إلى بيوتهم؟ من يوقف هذا النزوح المتتالي في كل مكان؟ من يخلق فرصاً ووظائف لكل هؤلاء الشباب الذين باتوا بلا عمل؟ ومن يساعدهم في تحقيق أحلامهم المشرذمة؟ من يضمن تربية صحية لأطفال وُلدوا في كنف الخوف؟ من يكترث للإنسان؟

الحقيقة أن تدمير مدينة أسهل بكثير من بنائها. وقتل مئات الآلاف أسهل من بناء مجتمع مزدهر وآمن. ونشر الخوف والكراهية أسهل من نشر الثقة والتعاون. فالخوف غريزة قوية تستطيع السيطرة على البشر ودفعهم نحو قرارات لا تخدمهم على المدى الطويل. أما الأصعب فهو أن ينجح الإنسان في كبح جماح ظلام الغضب والتعصب والكراهية والرغبة في الانتقام. الأصعب هو أن يختار البناء عندما يكون الهدم أسهل، وأن يستثمر في المستقبل بدلاً من الاستسلام لدوامة الصراع.

أن تبني يعني أن تؤمن بأن الأجيال القادمة تستحق حياة أفضل، أن تؤمن أن كل هذه الملايين تستحق عدالة وحياة مستقرة وسلسة، لا أن تتاجر بآلامهم ومعاناتهم. ويعني أن تدرك أن أبناء الغد سيدفعون ثمن قرارات اليوم. فكل هذه الجبهات التي تُفتح لتحويل نفسك إلى إمبراطور ستزيد من كره الآخرين لك على مدى تاريخ طويل قادم، وبذلك أنت تدمر مستقبل أجيال لم يولدوا بعد.

والسلام لا يعني فقط غياب الحرب، بل أن نصنع مؤسسات قوية، ونحقق عدالة اجتماعية واقتصادية، وأن تكون الكلمة للمنطق والقانون. أن نعمل على تطوير تعليم يركز على التفكير النقدي، والعودة للفلسفات الفكرية والأدبية، وأن نطور فرصاً اقتصادية حقيقية توفر فرص عمل للأغلبية. السلام أن تكون هناك حريات تسمح للناس بالتعبير والمشاركة، وأنظمة سياسية تستوعب التنوع وتسمح بسماع الرأي الآخر بدلاً من شيطنته وإقصائه. السلام أن نتوقف عن خلق هذا الجحيم كل يوم.

لذلك يجب أن نحسب الكلفة الحقيقية للحرب كما هي فعلاً. فالكلفة الحقيقية تشمل الأرواح التي فُقدت، والفرص التي ضاعت، والمدن التي دُمّرت، والأطفال الذين حُرموا من التعليم، والعقول التي هاجرت، والأحلام التي تم تبديدها، والمستقبل الذي تأخر لعقود.

الحقيقة أن تدمير مدينة أسهل بكثير من بنائها، وقتل مئات الآلاف أسهل من بناء مجتمع مزدهر وآمن، ونشر الخوف والكراهية أسهل من نشر الثقة والتعاون

فللأصدقاء والأعداء.. كفى حروباً. لأن الإنسان يستحق حياة مستقرة أكثر، يستحق خدمات بجودة عالية، ويستحق أن يحقق أحلامه في هذا العالم. هناك الكثير من الدول في العالم تعاني من مشاكل تفوق قدرة مخلوق ضعيف هش كالإنسان على تحملها.

كفى حروباً.. لأن غزة لا تستحق أن تكون ركاما، بل منطقة سياحية جاذبة للاستثمار والجمال. ولأن الضفة لا تستحق أن تكون سجناً خانقاً، بل أرضاً تحمل في تاريخها وأحجارها وإرثها مكانة روحية وإنسانية استثنائية، عقائد وإيمانيات لأديان كان من المفترض أن تقرّب الإنسان لنفسه وللآخر، لا أن تكون مركزاً لسفك الدماء على مدى قرون.

ولأن لبنان كان من المفترض أن يبقى سويسرا الشرق، لا أن يصبح نازحاً ومهجّراً ومدمّراً وجريحاً. وسوريا كان من المفترض أن تبقى أرض الحضارات ومهد مدن كانت الأقدم في تاريخ البشرية، وجسراً يصل بين الشرق والغرب. والعراق، أرض سومر وبابل وآشور، من علمنا الكتابة وكيف نبني مدناً ودولاً وحضارات، كان الأجدر أن يبقى مركزاً للمعرفة والتنمية، لا أن يكون ساحةً للصراعات المسلحة وتنازع النفوذ.

والأمثلة لا تنتهي هنا، لتصل إلى اليمن وليبيا والسودان، وحتى إيران وأفغانستان وغيرها الكثير. لذا يبقى السؤال الأكبر الذي يواجه العالم كله: كيف ننتقل من الحروب إلى السلام؟ كيف نعوض كل الفرص الضائعة في هذا العالم وفي هذا الشرق الجريح؟ وكيف نبني نظاماً يجعل التعاون أكثر جدوى من الصراع؟

ذلك هو التحدي الحقيقي، وذلك هو الاستثمار الذي يستحق أن تخوض البشرية سباقها من أجله، لا أن تبقى أسيرة سباق تسلح وحروب وصراعات.

اللاعقلانية في مقاربة عناوين الحدث السوري

أمجد إسماعيل الآغا
كاتب وباحث سياسي

تبدو المشهدية السورية اليوم وكأنها مسرح هائل يعج بالضجيج والحركة دون أن يُنتج معنى حقيقياً، فالعناوين التي تُرفع في سياق الحدث السوري غالباً ما تفتقر إلى المنطق السياسي، وتتسم بنوع من اللاعقلانية المقصودة أحياناً والعفوية أحياناً أخرى، لكنها في مجملها تُبقي الواقع السوري رهينة التباسات لا تُفضي إلى حلول، بل تُعمق الأزمة وتُفاقم الاحتقان. فالحديث عن جملة الحلول السياسية يتكرر كشعار لا يحمل في طياته آليات واضحة، والحديث عن الانتقال الديمقراطي يُطرح في سياقات تفتقر إلى البنية المؤسسية والثقافة السياسية اللازمة، مما يجعل هذه العناوين مجرد أصوات تتصادم في فراغ، لا تترك أثراً سوى المزيد من التشويش على الرأي العام وإفراغ المفاهيم من مضامينها.

ولعلّ من أخطر ما يواجه المشهد السوري اليوم هو غياب هوية واضحة للمسارات السياسية المطروحة، إذ إن غالبية القوى الفاعلة على الأرض وكذلك الفاعلة في الفضاء السياسي تبدو كأنها تتحرك بلا بوصلة، كلٌ يرفع شعاراً مختلفاً، وكلٌ يدعي تمثيل الشعب دون أن يمتلك برنامجاً سياسياً ملموساً يُمكن محاكمته أو قياس تأثيراته على أرض الواقع. وهكذا تبقى المسارات السياسية مجرد خطوط متعرجة على رمال متقلبة، لا تُشكل بديلاً حقيقياً للسوريين، ولا تمنحهم الأمل في غد مختلف.

في ظل هذا الفراغ، يبرز سلوك خطير يتمثل في تهميش وإقصاء كل صوت مختلف، حيث أصبحت ثقافة الإقصاء هي السائدة. فمن يُطالب بمنطق الدولة يُتهم بتبعيته للنظام السابق، ومن يُطالب بالتغيير الجذري يُتهم بالتطرف، ومن يحاول البحث عن حل وسط يُتهم بالتخاذل والانتهازية. وهكذا يتم تضييق الخناق على الفضاء العام حتى يصبح مجرد ساحة للصراع، بينما يُهمش العقلاء ويُقصى أصحاب الرؤى البناءة. وهذا التهميش ليس مجرد ظاهرة عابرة، بقدر ما هو إستراتيجية سياسية مقصودة تهدف إلى تدمير أي إمكانية لبناء توافق وطني، فالقوى المتنفذة، سواء كانت داخل النظام أو خارجه، تدرك جيداً أن وجود فضاء للاختلاف يعني وجود مساحة للمحاسبة والمساءلة، وهو ما تخشاه جميعها على السواء.

في خضم هذا الصراع على الهويات الفرعية والولاءات الضيقة، يتم تحييد الخطاب الوطني وإخراجه من دائرة التأثير السياسي. فلم يعد هناك مجال للحديث عن "سوريا" كوطن جامع يتسع لجميع أبنائه، بل أصبح الخطاب السياسي منقسماً بين خطاب طائفي يستدعي الماضي ليُبرر الحاضر، وخطاب إثني ينظر إلى الجغرافيا من منظور ضيق. وهكذا يتم تجريد المفهوم الوطني من محتواه، وتحويله إلى شعار فارغ دون أن يحمل في طياته أي مشروع حقيقي. ويُصبح الوطن في هذه الحالة مجرد خريطة جغرافية بلا روح، ومجرد حدود إدارية بلا معنى، بينما يتم استبداله بمفاهيم أصغر وأضيق تُشكل قاعدة للتعبئة ولكنها تفتقر إلى القدرة على البناء.

هنا يقف السوري أمام سؤال وجودي محيّر: ما معنى أن أكون سورياً في ظل هذا التشظي؟ وما هي الرؤية التي تجمعني بأبناء هذا الوطن؟ وما هو المشروع الذي يمنحني الهوية والانتماء في آن معاً؟ بهذا المعنى فإن الرؤى السياسية الوطنية غائبة كلياً، أو بالأحرى، تم إجهاضها في مهدها. فالقوى السياسية، باستثناءات نادرة، لم تُقدم مشروعاً وطنياً يتجاوز منطق المكاسب الفئوية، ولم تبنِ رؤية تستوعب التنوع السوري وتُحوله إلى ثروة بدلاً من أن يكون سبباً للصراع. والنتيجة هي أن السوري يشعر بالغربة داخل وطنه، ويشعر أن الانتماء إلى "سوريا" أصبح عبئاً ثقيلاً لا يحمل معنى إيجابياً، بل يحمل في طياته ذاكرة مؤلمة وحاضراً مبعثراً ومستقبلاً مجهولاً.

غياب الرؤية الوطنية في سوريا جعل الخطاب السياسي مجرد شعارات فارغة، حيث تتصادم الأصوات بلا بوصلة، ويظل المواطن رهينة التشظي واليأس العميق

إن غياب الرؤية الوطنية لا يعني فقط غياب مشروع سياسي، بل يعني غياب القدرة على تخيل المستقبل. فالسوري اليوم لا يستطيع أن يتخيل سوريا بعد عشر سنوات، لا لأنه يفتقر إلى الخيال، بل لأن المشهد السياسي لا يُقدم له أي عناصر يمكن أن يبني عليها هذا التخيل. فالخطاب السياسي محصور إما في إعادة إنتاج الماضي أو في التمني العاطفي دون آليات، ولا يوجد خطاب يتناول المستقبل بمنطق البناء والتخطيط. وهذا الغياب للرؤية يُنتج حالة من اليأس السياسي العميق، حيث يفقد المواطن ثقته بأي قوة سياسية، ويفقد إيمانه بإمكانية التغيير، ويصبح السؤال عن المعنى الوطني سؤالاً محبطاً لا يجد إجابة مُرضية.

ختاماً، لا بد من التوقف عند مقولة للمفكر السياسي الإيطالي أنطونيو غرامشي التي تعكس بدقة إشكاليات الواقع السياسي السوري: "الأزمة تتكون تماماً عندما يُدمر القديم ولا يمكن للجديد أن يولد، وفي هذه الفترة الانتقالية تظهر أعراض المرض المتنوعة". فسوريا اليوم تعيش هذه اللحظة الانتقالية الممتدة، حيث تم تدمير القديم بشكل جزئي دون أن يُولد بديل حقيقي، وتظهر الأعراض في شكل صراعات هوياتية وغياب رؤى وطنية وتهميش للعقلانية السياسية. وهكذا تبقى الأزمة ممتدة حتى يتمكن السوريون، أو من يدّعون تمثيلهم، من تجاوز منطق التدمير إلى منطق البناء، ومن التشظي إلى التوحيد، ومن الغياب إلى الحضور.

ما معنى أن أكون سوري

حرب المخابرات المغربية على الذئاب المنفردة: مقاربة متجددة في مكافحة الإرهاب

البرّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

تتجاوز إستراتيجية المديرية العامة للأمن الوطني وحماية التراب الوطني المغربي، تحت إدارة عبداللطيف الحموشي في مكافحة ظاهرة الذئاب المنفردة، أبعاد العمل الأمني التقليدي، لتستحيل عقيدة استباقية صارمة تضع استقرار المملكة المغربية فوق كل اعتبار، مبنية على فلسفة "الأمن الوقائي الهجومي" الذي يستبق العدو المفترض في عقر فضاءاته الرمزية والواقعية. وفي هذا السياق، تأتي هذه الديناميكية تجسيدا للتطبيق الدقيق والرصين لرؤية الملك محمد السادس، والتي تعبر عنها المقاربة المغربية الشاملة لمكافحة التطرف والإرهاب؛ وهي مقاربة جعلت من أمن المواطن وسلامة التراب الوطني أولوية لا تقبل المساومة.

إنها حرب مفتوحة تعتمد على الرصد التكتيكي وتتسلل إلى أعماق النوايا الإجرامية عبر التحديد الاستباقي للمخططات التخريبية وهي لا تزال في طورها الجنيني، مما يعكس تمكنا بنيويا من تدوير "دورة الاستخبارات الكلاسيكية والسيبرانية" في مراحلها الأكثر تعقيدا.

ومن هذا المنطلق، فإن هذا التتبع الدقيق للمؤشرات السلوكية والمسارات الرقمية للمتشبعين بالفكر المتطرف – الذي يرتكز على أدوات التنميط الاستخباراتي الحديث والتحليل الميكروعملياتي للبيانات الضخمة – يقطع الطريق على العناصر التي تحاول التخفي خلف قناع العمل الانفرادي، مما يسهم في جعل كل محاولة إجرامية مشروعا مكشوفا ينتهي بالإحباط قبل مرحلة التنفيذ المادي، الأمر الذي يرسخ سيادة الدولة كبيئة طاردة لكل نزعة تهدد النظام العام.

وعلى الصعيد الدولي، لم تعد ظاهرة "الذئاب المنفردة" مجرد سلوكيات معزولة، بل تحولت بالتدريج إلى نمط تشغيلي هجين يعيد صياغة خريطة التهديدات الأمنية الدولية خارج الأنماط الهرمية التقليدية، مما فرض تحديا استخباراتيا معقدا على الأجهزة العالمية التي اعتادت مواجهة الهياكل التنظيمية الصلبة. فنتيجة لانحسار الملاذات الجغرافية الآمنة للتنظيمات الإرهابية الكبرى كـ"داعش" و"القاعدة"، عمدت هذه الكيانات إلى اعتماد إستراتيجية اللامركزية العملياتية وعقيدة "الجهاد الفردي" عبر تفويض العمليات للأفراد محليا؛ حيث أضحى الفضاء الافتراضي وشبكات الإنترنت المظلم بمثابة منصات للتجنيد الرقمي، والتوجيه العقائدي، والتدريب على الأسلحة والمتفجرات عن بُعد، دون حاجة إلى تواصل مادي مباشر. بيد أن خطورة هذا التحول عالميا تتجلى في صعوبة التنبؤ الأمني الاستباقي، نظرا لغياب الروابط التنظيمية الهيكلية واعتماد الفواعل الفردية على تكتيكات "التمويه العملياتي المكثف" لكسر رادار المراقبة.

وفي هذا الإطار، تكشف المؤشرات الدولية لعام 2026 أن هذه الفواعل الفردية باتت تعتمد تكتيكات الهجمات منخفضة التكلفة وعالية الأثر كالدهس، والطعن، وإطلاق النار العشوائي، وهو ما جعل الأمن العالمي يواجه حرباً لا تماثلية مفتوحة مع أعداء غير مرئيين. وبالموازاة مع هذا التحول وعوضا عن الزخم الميداني الذي فقدته الجماعات المتطرفة، انتقل الخطر نحو أشكال تراهن على أفراد منعزلين ضمن الخلايا الميكروية بغية الهروب من الرقابة الأمنية الصارمة، حيث تخلت هذه المجموعات عن قنوات الاتصال التقليدية لصالح تطبيقات مشفرة من النظير إلى النظير (P2P) لتفادي الالتقاط الإشاراتي. وهنا بالتحديد، تبرز احترافية المكتب المركزي للأبحاث القضائية كذراع تنفيذية قوية، تنهض بمهام تفكيك الخلايا ورصد المخططات، مستندة في ذلك إلى التنسيق الاستخباراتي المتبادل والتكامل العضوي في إطار التعاون الدائم بين المؤسسات السيادية الذي يقوده العقل الإستراتيجي المغربي ببراعة، والذي يجمع المديرية العامة للأمن الوطني والمديرية العامة لحماية التراب الوطني، وجهاز الدرك الملكي بمختلف وحداته المتخصصة المعروفة بكفاءتها واحترافيتها، والمديرية العامة للتوثيق والمستندات، والقوات المسلحة الملكية بكل أفرعها البرية والجوية والبحرية الضابط الأول لحوزة الوطن ولمنعة التراب الوطني المقدس، في إطار دمج عملياتي متطور يربط بين مصادر الاستعلام البشري (HUMINT) والاستعلام الإشاراتي والفني (SIGINT) قصد ضمان تغطية أمنية شاملة تمتد من الفضاء الرقمي إلى الحدود الترابية. ومن شأن هذه المنظومة أن تمنح الأجهزة الأمنية قدرة على تحليل المخاطر وتعري محدودية التطور الفكري للمتطرفين، وبالتالي تفكيك مشاريعهم الأحادية قبل انتقالها من العالم الافتراضي إلى حيز التنفيذ، من خلال اختراق شبكاتهم الافتراضية وشل قدرتها على اتخاذ القرار عبر تعطيل دورة التخطيط لديهم.

المقاربة المغربية ضد الذئاب المنفردة تقوم على الأمن الوقائي الهجومي حيث يتم إحباط المخططات في طورها الجنيني عبر الرصد السيبراني والاستخبارات المتكاملة

لا تكتفي المقاربة المغربية بالجانب الزجري فحسب، بل تتكامل مع دينامية وطنية شاملة تستحضر المقاربة الحقوقية كجزء لا يتجزأ من العمل الأمني، فضلا عن كونها تتوزع بين إعادة هيكلة الحقل الديني، وتحصين المجتمع عبر التنمية، ومراجعة الأفكار داخل المؤسسات السجنية عبر برامج إعادة التأهيل ومحاربة التطرف، وهو ما يحمي استقرار الدول الوطنية ويمنح المغرب تموقعه كمرجع عالمي في كبح جماح التهديدات العابرة للحدود.

وجدير بالذكر أن هذه اليقظة الأمنية لم تكن لتتحقق لولا الفهم العميق للتحول البنيوي الذي طرأ على عقيدة التمويل والتحرك لدى هذه الفواعل اللامركزية؛ إذ كشفت التحريات الميدانية للمكتب المركزي للأبحاث القضائية عن جنوح "الذئاب المنفردة" نحو تبني تكتيكات "الفيء والاستحلال" كآلية للتمويل الذاتي المستقل، وذلك بهدف الفكاك من الرقابة الصارمة المفروضة على القنوات المالية الدولية، وهو التحول الذي جابهته الأجهزة المغربية بتطوير أدوات الاستعلام المالي الجنائي لتتبع ورصد قنوات السيولة النقدية غير النمطية. ويتضح هذا النمط بوضوح في نجاح الأجهزة الأمنية في التحييد القبلي لخلية تخريبية تتكون من 6 عناصر متطرفة جرى توقيفها في عمليات متفرقة يومي 5 و6 أبريل 2026، شملت مدن القنيطرة، والدار البيضاء، وسيدي الطيبي، ومنطقة دار الكداري بإقليم سيدي قاسم.

وبناء على التحقيقات القضائية والمعاينات الميدانية المدعومة بالمراقبة اللصيقة، وتقاطع المعطيات التقنية المستقاة من عمليات التتبع الفني والميداني المتزامن، فقد انخرطت عناصر الخلية في عمليات سطو وسرقة ممنهجة استهدفت ضيعات لتربية المواشي، ثم عمدت إلى تصريف عائداتها في الأسواق المحلية لتمويل مخططاتها؛ الأسلوب الذي أسفر عن ضبط ومصادرة مخطوطات وكتب ذات طبيعة متطرفة، وأسلحة بيضاء متنوعة، وأقنعة وقفازات، ومبالغ مالية مشبوهة، بالإضافة إلى وسائل نقل استخدمت لتسهيل التحركات اللوجستية، مما أكد قدرة المنظومة الاستخباراتية المغربية على قطع الشرايين اللوجستية البديلة وتجفيفها قبل وصول المخطط إلى مرحلة الصدمة أو التنفيذ العملياتي الفعلي.

لا تقتصر هذه الديناميات على السرقات المحلية، بل تتداخل مع الجريمة المنظمة العابرة للحدود كشبكات تهريب الأسلحة المرتبطة ببؤر التوتر في الساحل وصحراء مالي، والتي جرى إحباطها على الحدود الشرقية للمملكة بعد رصد استخباراتي مطول – ارتكز على الاختراق العميق لخطوط الإمداد وزرع مصادر بشرية نوعية في مناطق التماس – حيث ضبطت أسلحة مخبأة رفقة جرائد ورقية مالية حديثة الصدور تعود لعام 2024، الأمر الذي أثبت ارتباطها اللوجستي بالتهديدات الإقليمية، لاسيما بعد صدور شريط فيديو مسجل لقيادي بارز في تنظيم "داعش" بالساحل يهدد فيه المملكة رسميا. ويتكامل هذا الرصد مع عمليات تفكيك مستمرة تفضح النمط العملياتي المتغير؛ كتحييد خلية موالية لـ"داعش" تنشط بين مدينتي تطوان وشفشاون في يوليو 2025 استغلت التضاريس الجبلية للتمويه والتخفي والتحضير لعمليات فردية نوعية، وتفكيك خلية الحوز بضواحي مراكش (يونيو 2019) التي ضمّت 4 مسلحين نسج زعيمها علاقات بالخارج لصناعة عبوات ناسفة واستهداف منشآت حيوية.

وفي المقابل، يتوازى هذا النمط المادي مع تحول الفضاء السيبراني ومواقع التواصل الاجتماعي إلى غرف قيادة وسيطرة بديلة للاستقطاب الفكري، والتوجيه العقائدي، والتنسيق اللوجستي العابر للحدود، على غرار الخلية الثنائية التي جرى تفكيكها بتنسيق أمني رفيع بين الرباط ومدريد في مارس 2026 بين طنجة ومايوركا الإسبانية، والتي كشفت عن تكتيك استخباراتي مضاد يلاحق الأنماط الهجينة لـ"العمليات المشتركة عن بعد". ولكبح هذا التمدد الرقمي، تبنت المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني مقاربة الرصد السيبراني المندمج والمستمر، والتي أسفرت منذ عام 2016 عن توقيف ومتابعة أكثر من 700 شخص جرى رصد أنشطتهم وتفاعلاتهم المتطرفة قبل انتقالها إلى طور التنفيذ المادي. وفي هذا الصدد، حسمت النيابة العامة النقاش البنيوي والحقوقي القائم حول الترويج الافتراضي، بالاعتماد شبه الدائم على الفصل 218 – 2 من القانون الجنائي المتعلق بالإشادة بالإرهاب، وذلك بهدف تغليب البعد الزجري والوقائي الحاسم وصيانة الأمن القومي الاستباقي للمملكة.

إن استدامة معادلة "صفر تأثير إرهابي" التي حققها المغرب وتفوقه في مؤشر الإرهاب العالمي لعام 2025، لا يمكن فصلها عن القراءة الدقيقة وآليات الإنذار المبكر للمحيط الإقليمي الملتهب في منطقة الساحل والصحراء، والتي غدت منذ عام 2025 البؤرة الرئيسية للإرهاب عالمياً بمسؤوليتها عن أكثر من نصف الوفيات المرتبطة بالعنف السياسي؛ حيث وثق المؤشر في النصف الأول من عام 2025 وحده حوالي 4.030 حالة وفاة إرهابية في الساحل من أصل 7.610 وفيات سجلت عالمياً، في ظل تنامي النشاط العملياتي لأكثر من 64 تنظيماً مسلحاً، مما حوّل تلك المنطقة إلى بيئة اختبار مفتوحة للجريمة اللامركزية العابرة للحدود. ويعزى هذا الانفجار الأمني أساساً إلى عوامل بنيوية متقاطعة؛ أبرزها انهيار نماذج الحوكمة التقليدية، وتوالي الانقلابات العسكرية بين عامي 2020 و2024، والفراغ الأمني الناتج عن انسحاب القوات الدولية، إلى جانب تحالف جماعات متطرفة مع عصابات الجريمة العابرة للحدود لتوسيع تمويلها عبر الاتجار بالبشر والسلاح والمخدرات، فضلاً عن الفشل التنسيقي التام لمجموعة دول الساحل الخمس بسبب شح التمويل رغم المساعدات الدولية الضخمة.

ونتيجة لهذه النجاحات الميدانية والتشريعية المترابطة، تحولت الحرب المفتوحة والصارمة التي يقودها عبداللطيف الحموشي ضد ظاهرة الذئاب المنفردة إلى مدرسة أمنية متكاملة الأركان، تعيد صياغة مفهوم الردع الإستراتيجي على الصعيدين الإقليمي والدولي. فلم تعد هذه المواجهة تقتصر على المراقبة التقليدية، بل استقرت كعقيدة هجومية تنفذ إلى عمق النوايا التخريبية قبل تجسدها المادي، عبر ملاحقة الأنماط غير المهيكلة للفواعل الفردية في فضاءات التخفي الرقمية والمعاقل الواقعية المعزولة، من خلال تطبيق "هندسة التدخل الاستباقي" للأمن القومي التي تجهض المخطط في مهده الفكري قبل نضوج وسائله. إذ إن تفكيك هذه المشاريع الأحادية في طورها الجنيني الأول عكس كفاءة استثنائية في هذه الهندسة السيادية، وحوّل القدرة الاستخباراتية المغربية إلى رافعة إستراتيجية صاغت بها المملكة أبعاداً متجددة للدبلوماسية الأمنية العابرة للقارات، مكرسة تموقع الرباط كمرجع دولي لا غنى عنه في صياغة السلم العالمي.

ويتجلى العمق الجيوسياسي لهذه اليقظة المغربية في التقدير والائتمان الذي تحظى به الأجهزة السيادية للمملكة؛ وهو ما تُوّج بالإجماع الدولي على اختيار المغرب لاحتضان الجمعية العامة لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية "الإنتربول"، كاعتراف بكفاءة المقاربة الوطنية وتفوق المنظومة المخابراتية في إدارة وتبادل البيانات والمعلومات الجنائية شديدة الحساسية. كما يتماهى هذا الاعتراف مع المأسسة الدبلوماسية الوقائية المتمثلة في "منصة مراكش لمكافحة الإرهاب"، والتي غدت إطاراً سنوياً يجمع قادة الأمن والمخابرات عبر العالم لتجفيف قنوات المخططات اللامركزية وتفكيك الارتباطات المشبوهة.

يبرهن هذا العطاء العملياتي والدبلوماسي على أن المغرب قد غادر تماماً مربع التنسيق النمطي، ليتحول إلى مركز ثقل دولي مبادر ومصدّر للحلول الأمنية المبتكرة في مواجهة الحروب اللاتماثلية، من خلال صياغة ميزان دقيق يربط بين "الاستخبارات الصلبة" والأمن المجتمعي الشامل. إنها، إذن، الحصيلة الكبرى للتنزيل الدقيق للرؤية الملكية التي جعلت من سلامة الوطن والمواطن ثابتا فوق كل اعتبار؛ عبر رؤية إستراتيجية فريدة لم تكتفِ بالردع الجنائي واليقظة الميدانية، بل زاوجت باحترافية بين "القوة الصارمة" والوقاية عبر "القوة الناعمة"، متمثلة في تحصين الحقل الديني روحياً، وإعادة التأهيل الفكري والحقوقي والنفسي داخل المؤسسات السجنية، وتجفيف المنابع السوسيو – اقتصادية للهشاشة عبر التنمية المندمجة. هذا التناغم البنيوي الفريد هو ما يجعل من حرب المملكة على الذئاب المنفردة نموذجاً مرجعياً ملهماً في التوفيق بين متطلبات الأمن الصارم وصيانة حقوق الإنسان، مرسخاً مكانة المملكة المغربية كحجر زاوية وصمام أمان إستراتيجي للاستقرار والسلم الإقليمي والقاري والدولي.

مقاربة شاملة لمكافحة التطرف والإرهاب

أربعون دولة تجدد دعمها المطلق لمغربية الصحراء

سعيد التمسماني
محلل سياسي مغربي

لم يعد الدعم الدولي المتنامي للموقف المغربي بشأن الصحراء مجرد تراكم عددي للمواقف المؤيدة داخل المنتظم الدولي، بل أصبح مؤشراً سياسياً على تحول نوعي في طريقة مقاربة المجتمع الدولي لهذا النزاع الإقليمي الممتد لعقود. فإعلان أربعين دولة، من على منبر مجلس حقوق الإنسان بجنيف، تجديد دعمها للسيادة المغربية على أقاليمه الجنوبية، لا تقتصر أهميته على عدد الدول الموقعة فحسب، وإنما على طبيعة الرسائل السياسية والقانونية التي يحملها في ظرفية دولية تتسم بإعادة تشكيل التحالفات وتنامي الرهانات الجيوسياسية.

اللافت في هذا الموقف الجماعي أنه أعاد التأكيد على حقيقة غالباً ما يتم تجاهلها أو محاولة الالتفاف عليها، وهي أن ملف الصحراء يوجد حصرياً ضمن اختصاص مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة باعتباره قضية سياسية تتطلب حلاً واقعياً وعملياً ودائماً. وهذا التأكيد يحمل في جوهره رفضاً واضحاً لكل محاولات نقل النقاش إلى فضاءات أخرى أو توظيف قضايا جانبية لإعادة إنتاج أطروحات فقدت الكثير من زخمها ومصداقيتها داخل المؤسسات الأممية.

في المقابل، يبرز الدعم المتزايد لمبادرة الحكم الذاتي باعتبارها التعبير الأكثر وضوحاً عن التحول الذي عرفه التعاطي الدولي مع النزاع. فبعد سنوات من البحث عن صيغ نظرية غير قابلة للتنفيذ، باتت أغلبية متنامية من الدول تنظر إلى المبادرة المغربية باعتبارها الإطار الوحيد القادر على التوفيق بين متطلبات السيادة الوطنية وضمان التدبير الديمقراطي للشؤون المحلية وتحقيق التنمية والاستقرار في المنطقة. ولذلك لم يعد النقاش الدولي يدور حول وجود بدائل للحكم الذاتي، بقدر ما أصبح يتمحور حول سبل تنزيله وتوفير الظروف الملائمة لإنجاحه.

ويكتسي هذا التطور أهمية خاصة لأنه يتزامن مع نجاح المغرب في ترسيخ نموذج تنموي متقدم بالأقاليم الجنوبية. فالاستثمارات الضخمة في البنيات التحتية، والمشاريع الاقتصادية الكبرى، والتحول الذي تشهده مدينتا العيون والداخلة إلى منصتين إقليميتين للتنمية والتعاون الأفريقي، جعلت من هذه الأقاليم فضاءً لإثبات جدية الرؤية المغربية على أرض الواقع، وليس مجرد مشروع سياسي معروض على طاولة المفاوضات.

ومن هنا يمكن فهم الإشادة الدولية المتزايدة بافتتاح العديد من الدول لقنصليات عامة في الأقاليم الجنوبية. فهذه الخطوة لم تعد مجرد إجراء دبلوماسي تقليدي، بل تحولت إلى مؤشر سياسي يعكس اعترافاً متنامياً بالمكانة الإستراتيجية لهذه الأقاليم وبالدور الذي يمكن أن تضطلع به كجسر للتعاون الاقتصادي والاستثماري بين أفريقيا والعالم.

كما أن الربط الذي قامت به الدول الأربعون بين قضية الصحراء ومنظومة حقوق الإنسان يحمل دلالة خاصة. فالمغرب نجح خلال السنوات الأخيرة في بناء علاقة مؤسساتية متقدمة مع آليات الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، قائمة على التعاون والانفتاح والتفاعل الطوعي مع مختلف الآليات الأممية. وهو ما جعل المقاربة المغربية في هذا المجال تحظى باعتراف متزايد، وساهم في تقويض محاولات توظيف الملف الحقوقي لأغراض سياسية لا تخدم حماية الحقوق بقدر ما تخدم أجندات النزاع.

في العمق، لا يعكس موقف الأربعين دولة مجرد دعم دبلوماسي ظرفي، بل يكشف عن تشكل قناعة دولية متنامية بأن استمرار هذا النزاع لم يعد يخدم الاستقرار الإقليمي ولا تطلعات شعوب المنطقة إلى التنمية والاندماج الاقتصادي. فالعالم اليوم ينظر إلى منطقة شمال أفريقيا والساحل باعتبارها فضاءً إستراتيجيا يواجه تحديات أمنية وتنموية متشابكة، الأمر الذي يجعل إنهاء هذا النزاع أولوية سياسية تتجاوز أطرافه المباشرة إلى رهانات الأمن والاستقرار الإقليميين.

إن الرسالة الأبرز التي خرجت من جنيف ليست فقط أن المغرب يراكم مزيداً من الدعم لقضيته الوطنية، بل إن المجتمع الدولي بات أكثر اقتناعاً بأن الواقعية السياسية أصبحت الطريق الوحيد نحو التسوية. وبين منطق البناء والتنمية والاستقرار الذي يجسده مشروع الحكم الذاتي، ومنطق الجمود الذي كرّس عقوداً من التعثر، تبدو موازين الشرعية الدولية تميل أكثر فأكثر نحو الخيار الذي يجمع بين السيادة والواقعية وآفاق المستقبل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

الثقافة رسالة والحوار منهج

عبدالله الخطيب

مثقف جعل من المثاقفة مشروع حياة ومن اللغة مسؤولية أخلاقية

الطيب ولد العروسي
كاتب جزائري

ثمة شخصيات ثقافية يصعب الحديث عنها من خلال المناصب التي تقلدتها أو المؤلفات التي أنجزتها فقط، لأن أثرها الحقيقي يتجاوز ما هو مدون في السيرة الذاتية إلى ما تتركه من حضور في الوعي الثقافي والإنساني لمن عرفها أو تفاعل معها. فهناك من يترك بصمته في مؤسسة، وهناك من يخلد اسمه بكتاب، غير أن قلة من المثقفين هم الذين ينجحون في أن يجعلوا من حياتهم كلها مشروعًا ثقافيًا متكاملًا، تتداخل فيه المعرفة بالسلوك، والفكر بالممارسة، والحوار بالقيم الإنسانية.

> أعماله محملة بجهد مركب يجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات والنقد الثقافي دون أن يفقد تماسكه ووضوح رؤيته

ومن هذه النماذج يبرز الدكتور عبدالله الخطيب، الذي عرفته باحثًا ومترجمًا ومفكرًا ومديرًا ثقافيًا وصديقًا، وفي كل تلك المواقع ظل وفيًا لفكرة واحدة رافقته طوال مسيرته: أن الثقافة الحقيقية تبدأ من احترام الإنسان، وأن الحوار هو الطريق الأسمى لبناء الجسور بين العقول والثقافات.

الجهد المركب

تعرفت إلى الدكتور عبدالله الخطيب في سنوات مبكرة من مسيرته الأكاديمية، حين كان يعد أطروحته للدكتوراه في جامعة روان الفرنسية. ومنذ اللقاءات الأولى أدركت أنني أمام شخصية تختلف عن كثير من الباحثين الذين التقيتهم. لم يكن منشغلًا بالحصول على الدرجة العلمية بوصفها غاية نهائية، بل كان ينظر إلى الدراسة بوصفها رحلة معرفية مفتوحة على أسئلة أكبر من حدود الجامعة والتخصص، لاسيما وأنه قارئ نهم، واسع الاطلاع، شديد الفضول الفكري، يتنقل بين الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات والنقد الثقافي والتاريخ والأدب، باحثًا عن الروابط العميقة التي تصل بين هذه الحقول المختلفة.

علاوة على أن فرنسا كانت بالنسبة إليه أكثر من محطة أكاديمية؛ كانت فضاءً ثقافيًا وفكريًا رحبًا أتاح له الاحتكاك المباشر بتيارات فكرية معاصرة شكلت جزءًا مهمًا من وعيه اللاحق، حيث قرأ أو تعرف عن قرب إلى أعمال ميشيل فوكو وبيير بورديو وجاك دريدا وإدغار موران وغيرهم من كبار المفكرين الفرنسيين، وفي فرنسا بلور اهتمامه بالأسئلة المتعلقة بالهوية واللغة والسلطة والثقافة وأخلاقيات الخطاب. غير أن ما يميزه هو أنه لم يبق كقارئ منبهرًا بما يقرأ، ولا ناقلًا سلبيًا للأفكار، بل راح يحاور النصوص ويعيد مساءلتها وتفكيكها، ويبحث عن إمكانات توظيفها في فهم الواقع العربي وإغناء النقاش الثقافي فيه.

ومنذ تلك المرحلة بدا واضحًا أن مشروعه الفكري لن ينحصر في تخصص واحد. فقد آمن بأن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالإنسان لا يمكن الإجابة عنها من داخل حدود معرفية ضيقة، وأن الثقافة الحقيقية تتطلب عبورًا وتقاطعًا دائمًا بين الحقول والتخصصات واللغات. ولهذا جاءت أعماله محملة لهذا الجهد المركب الذي يجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات والنقد الثقافي، دون أن يفقد تماسكه أو وضوح رؤيته.

تولى إدارة الملحقية الثقافية السعودية في باريس، بحيث بدأ مرحلة جديدة من حياته، يمكن وصفها بمرحلة تحويل الأفكار إلى مبادرات، والرؤى إلى مؤسسات، والحلم الثقافي إلى ممارسة يومية.

لم يتعامل مع الملحقية الثقافية بوصفها جهازًا إداريًا معنيًا بمتابعة شؤون المبتعثين فقط، بل رأى فيها فرصة لبناء فضاء ثقافي حقيقي قادر على أن يؤدي دورًا حضاريًا يتجاوز المهام التقليدية. ومن هنا شهدت الملحقية في عهده نشاطًا لافتًا تمثل في تنظيم الندوات والمؤتمرات والملتقيات الفكرية، واستضافة عدد كبير من الباحثين والمفكرين والأدباء العرب والفرنسيين، إضافة إلى إطلاق مبادرات ثقافية متعددة أسهمت في تعزيز الحوار بين الثقافتين العربية والفرنسية.

وكان من أبرز هذه المبادرات مشروع الترجمة الذي أولاه اهتمامًا خاصًا. فقد كان يرى أن الترجمة ليست عملية تقنية لنقل الكلمات من لغة إلى أخرى، بل فعل حضاري عميق يتيح للشعوب أن تتعرف إلى بعضها بعضًا بعيدًا عن الصور النمطية والأحكام المسبقة. وكان يؤمن بأن المعرفة المتبادلة هي الشرط الأول لأي حوار حقيقي بين الثقافات، وأن الترجمة تشكل أحد أهم الجسور التي يمكن أن تعبر فوقها الأفكار والخبرات والتجارب الإنسانية.

ومن خلال هذا المشروع أسهم في تقديم أعمال عدد من المفكرين والأدباء الفرنسيين إلى القارئ العربي، وكان شديد الحرص على ترجمة النصوص التي تحمل قيمة معرفية وإنسانية قادرة على إثراء النقاش الثقافي العربي. وقد وجد في أعمال إدغار موران، على سبيل المثال، نموذجًا للفكر المركب الذي يرفض الاختزال ويحتفي بالتعقيد، وهي فكرة ستترك أثرًا واضحًا في رؤيته الفكرية لاحقًا.

الشعور بالمسؤولية

لم يكن اهتمامه بالترجمة منفصلًا عن اهتمامه بالمثاقفة والحوار بين الحضارات. فقد كان يرى أن العلاقة بين الثقافات لا ينبغي أن تقوم على التبعية أو الهيمنة أو الانبهار، بل على الندية والاحترام المتبادل. ولذلك رفض دائمًا الخطابات التي تقوم على ثنائية الانغلاق أو الذوبان، مؤمنًا بأن الهوية الواثقة من نفسها هي وحدها القادرة على الانفتاح الحقيقي على الآخر.

وتتجلى هذه الرؤية بوضوح في كتابه المهم "قلق القول في أخلاقيات الخطاب والمثاقفة". فهذا الكتاب لا يتناول اللغة بوصفها أداة للتواصل فحسب، بل بوصفها ممارسة أخلاقية وثقافية مسؤولة. فالإنسان، في نظره، لا يتكلم في فراغ، بل ينتج بخطابه صورًا للعالم ومواقف من الآخرين، ويؤثر في تشكيل الوعي الفردي والجماعي.

ومن هنا جاء مفهوم "قلق القول"، الذي يمثل أحد أكثر مفاهيمه أصالة وعمقًا. فالكاتب الحقيقي، في رأيه، لا يكتب براحة مطلقة، بل يعيش حالة من اليقظة الأخلاقية المستمرة تجاه ما يقول. إنه قلق نابع من الشعور بالمسؤولية، ومن إدراك أن الكلمة يمكن أن تكون أداة للتفاهم كما يمكن أن تتحول إلى أداة للإقصاء أو التضليل أو العنف الرمزي.

وقد بدا لي دائمًا أن هذا المفهوم لا يصف كتاباته فقط، بل يصف شخصيته أيضًا. فهو من أولئك الذين يمنحون الكلمة قيمتها الحقيقية، ويتعاملون مع اللغة بوصفها مسؤولية قبل أن تكون وسيلة للتعبير. ولذلك جاءت كتاباته متأنية، بعيدة عن الأحكام المتسرعة أو الخطابات الانفعالية، ومبنية على التأمل والحوار واحترام الرأي المختلف.

ويمتد هذا الاهتمام بالأبعاد الأخلاقية للخطاب إلى كتابه "في الأخلاقيات اللغوية: مقاربات نظرية وتطبيقية"، الذي يمثل مساهمة مهمة في تعريف القارئ العربي بحقل معرفي لا يزال محدود التداول في الثقافة العربية. ففي هذا الكتاب يبين أن اللغة ليست محايدة كما نتصور أحيانًا، بل تحمل في داخلها منظومات من القيم والتصورات والأيديولوجيات، وأن اختيار الكلمات وطريقة استعمالها يكشفان عن مواقف أخلاقية وثقافية تتجاوز ظاهر الخطاب.

> اللغة عنده وسيلة لفهم الإنسان، والثقافة سبيل للارتقاء به، والحوار أداة للتقارب، والصداقة تجربة للاعتراف المتبادل

وقد تأثر في هذا المجال بعدد من النقاشات الفكرية الفرنسية الحديثة، خصوصًا تلك المتعلقة بالعلاقة بين اللغة والسلطة والهوية. وهنا يبرز تأثير بيير بورديو الذي كشف عن دور اللغة في إنتاج السلطة الرمزية وإعادة إنتاج الفوارق الاجتماعية. كما يظهر أثر ميشيل فوكو في اهتمامه بالعلاقة بين الخطاب وتشكيل الذات، وفي وعيه بأن اللغة ليست مجرد انعكاس للواقع، بل أداة تسهم في بنائه وإعادة تشكيله.

ومن القضايا التي شغلت عبدالله الخطيب أيضًا قضية الذات الإنسانية، وهي القضية التي تناولها بعمق في كتابه "في تشكلات الذات ومانحي الدروس". وفي هذا الكتاب يقدم رؤية ترى الإنسان بوصفه مشروعًا مفتوحًا لا يكتمل أبدًا، بل يتشكل باستمرار عبر التجارب والعلاقات والنجاحات والإخفاقات والتحولات التي يمر بها.

ومن أجمل الأفكار التي يطرحها في هذا السياق مفهوم "مانحي الدروس". فالإنسان لا يتعلم فقط من الكتب أو المؤسسات التعليمية، بل من الأشخاص الذين يلتقيهم، ومن المواقف التي يعيشها، ومن التجارب التي تترك أثرها العميق في وعيه. وقد يكون مانح الدرس صديقًا أو خصمًا، نجاحًا أو إخفاقًا، لحظة فرح أو تجربة ألم. فالحياة كلها تتحول، في نظره، إلى مدرسة مفتوحة لمن يملك القدرة على التأمل والتعلم.

ولعل هذا البعد الإنساني العميق هو ما يفسر اهتمامه المتواصل بمسألة الصداقة، التي خصص لها نصًا غنيًا ومميزًا يكشف جانبًا مهمًا من شخصيته الفكرية والوجدانية. ففي هذا النص لا يتعامل مع الصداقة بوصفها علاقة اجتماعية عابرة، بل بوصفها تجربة أخلاقية وإنسانية وفلسفية في آن واحد.

ينطلق من التراث الفلسفي الممتد من أرسطو إلى جاك دريدا، مرورًا بأبي حيان التوحيدي ومونتين وكانط، ليعيد طرح السؤال القديم الجديد: ما معنى أن يكون للإنسان صديق؟ وما الذي يجعل الصداقة علاقة مختلفة عن سائر العلاقات الإنسانية؟

ويخلص إلى أن الصداقة الحقيقية لا تقوم على المنفعة ولا على التشابه الكامل، بل على الصدق والثقة والاحترام المتبادل. ولعل ما يلفت النظر في تحليله هو ربطه بين الصداقة والصدق، مستلهمًا الأصل اللغوي العربي للكلمة. فالصديق الحقيقي، في نظره، ليس من يجاملنا أو يوافقنا دائمًا، بل من يمتلك شجاعة المصارحة وإرادة الخير لنا.

ويرى أن الصداقة ليست مجرد علاقة وجدانية، بل تجربة أخلاقية تعلم الإنسان كيف يخرج من مركزية ذاته، وكيف يعترف بالآخر ويقبل اختلافه. ومن هنا تتقاطع رؤيته للصداقة مع رؤيته للحوار والثقافة؛ فكما أن الحوار بين الثقافات لا يقوم إلا على الاعتراف بالآخر، فإن الصداقة لا تزدهر إلا في مناخ من الاحترام المتبادل والحرية والثقة.

الكلمة جسر

كما اهتم الخطيب بتحليل ظواهر تبدو في ظاهرها بسيطة أو هامشية، لكنها تكشف عن رؤيته العميقة للثقافة والمجتمع. ومن ذلك دراساته حول النكتة وصورة العرب في فرنسا، حيث تعامل مع النكتة بوصفها خطابًا اجتماعيًا وثقافيًا يكشف عن التمثلات الجماعية والصور النمطية والتوترات الكامنة داخل المجتمعات. وقد أظهر من خلال هذه الدراسات كيف يمكن للفكاهة أن تكون أداة للتواصل، كما يمكن أن تتحول إلى وسيلة لإعادة إنتاج التحيزات والأحكام المسبقة.

وفي كتابه حول المستشرق الفرنسي فرنيل، برزت قدرته على الجمع بين الإنصاف والنقد. فهو لا يقع في التمجيد غير المشروط للمستشرقين، ولا في رفضهم بالجملة، بل يقدم قراءة متوازنة تعترف بالإنجاز العلمي وتكشف في الوقت نفسه حدود الرؤية الأيديولوجية التي قد تؤثر في بعض الأحكام والمواقف.

وحين أتأمل اليوم مجمل تجربة عبدالله الخطيب، أجد أن الخيط الذي يجمع بين كل أعماله ومبادراته هو الإيمان العميق بالإنسان. فاللغة عنده وسيلة لفهم الإنسان، والثقافة سبيل للارتقاء به، والحوار أداة للتقارب بين البشر، والصداقة تجربة للاعتراف المتبادل، والمعرفة مسؤولية أخلاقية قبل أن تكون رصيدًا فكريًا. ولهذا فإن الحديث عنه لا يقتصر على تعداد مؤلفاته أو استعراض مناصبه، بل يتطلب النظر إلى المشروع الفكري والإنساني الذي سعى إلى بنائه على امتداد عقود. وهو مشروع يقوم على الدفاع عن قيمة الحوار، وعلى الإيمان بأن الاختلاف ليس تهديدًا، بل فرصة للتعلم، وأن الثقافة الحقيقية لا تنشأ من الانغلاق، بل من التفاعل الخلاق بين الذوات والتجارب والرؤى المختلفة.

> المتأمل اليوم في مجمل تجربة الخطيب، يجد أن الخيط الذي يجمع بين كل أعماله ومبادراته هو الإيمان العميق بالإنسان

يعد عبدالله الخطيب نموذجًا للمثقف الذي جمع بين الفكر والعمل، وبين الانفتاح على العالم والوفاء لهويته الثقافية، وبين الصرامة الأكاديمية والحس الإنساني. وفي زمن تتزايد فيه أشكال الاستقطاب وسوء الفهم والانغلاق، تبدو تجربته أكثر أهمية من أي وقت مضى، لأنها تذكرنا بأن الكلمة يمكن أن تكون جسرًا لا جدارًا، وأن المعرفة يمكن أن تكون طريقًا إلى التفاهم لا إلى الهيمنة، وأن الإنسان لا يصبح أكثر إنسانية إلا حين يتعلم كيف يصغي إلى الآخر ويحاوره ويحترمه.

وهكذا يبقى عبدالله الخطيب واحدًا من الأصوات الثقافية العربية التي جعلت من الثقافة رسالة، ومن الحوار منهجًا، ومن أخلاقيات اللغة أفقًا لفهم الإنسان والعالم، تاركًا وراءه تجربة فكرية وإنسانية تستحق التأمل والتقدير والاحتفاء.

«الوحش البابلي» لعلاءالدين محمد: سريالية تعبيرية تفكك صدمة التاريخ والواقع

جدلية الأسطورة والعبث في تشكيل الهوية الجريحة

في فضاء يتسم بالتعقيد و"اللا - مدرسة"، يأتي المعرض الشخصي الخامس للفنان العراقي علاءالدين محمد بقاعة دكانة، ليقدم بيانا بصريا يربط الإنسان بالتاريخ والطبيعة. فعبر ثيمة الوحش الميثولوجية، يدمج الفنان بين الكولاج والزيت، محولا الوجع الرافديني الممتد إلى سؤال وجودي معاصر، يواجه فيه الإنسان وحشه الداخلي بجرأة فنية فريدة.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

يستهل الناقد هربد ريد كتابه "حاضر الفن" بملاحظة جوهرية لا تزال تحكم مشهدنا البصري اليوم: "ثمة مظهر عام للفن المعاصر يتفق عليه الجميع، أعني تعقيده، ليس هنالك من يملك الجرأة الكافية على اختيار مدرسة خاصة أو تقاليد معينة ليقول: هو ذا نمط الفن الحديث، وكل ما عداه مشتق أو زائف بطريقة أو بأخرى".

في هذا المناخ من "اللا – مدرسة"، يظهر الفنان العراقي الشاب علاء الدين محمد من بابل، مواليد عام 1985، وحاصل على بكالوريوس فنون جميلة عام 2008 وماجستير رسم عام 2012، ليقدم في معرضه الشخصي الخامس بقاعة "دكانة" – مؤسسة رؤيا للثقافة المعاصرة، شارع المتنبي، تجربة تنتمي إلى قلب هذا التعقيد. أربع لوحات زيتية مع كولاج، وعمل نحتي واحد، تكفي لتأسيس بيان بصري مكتمل: علاقة الإنسان بالطبيعة وتاريخها، عبر ثيمة مركزية هي "الوحش" بوصفه كائنا ميثولوجيا ونفسيا وسياسيا في آن.

> فنان يحاول استلهام الحضارة البكر بمفهوم أكثر معاصرة، عبر معالجة بصرية خاصة للصراع الأزلي بين الخير والشر

علاءالدين محمد ليس فنانا عابرا في بداية المشوار، هو منذ معرضه الأول عام 2008 في كلية الفنون الجميلة/ بابل، يبني أرشيفه الخاص بوعي أكاديمي متصل، ومشاركاته في معارض جماعية تؤسس لفنان يدرك أن التجربة الفردية لا تنفصل عن الحقل الجمعي. مقتنياته في العراق ولندن والولايات المتحدة وكندا والإمارات وبيروت والأردن تؤكد أن "الوحش البابلي" تجاوز محليته ليصبح سؤالا إنسانيا.

استلهام الحضارة

يقتبس علاءالدين من الموروث لا بوصفه زخرفة ملموسة بل بوصفه بنية فكرية متجددة، فهو يحاول استلهام الحضارة البكر بمفهوم أكثر معاصرة، عبر معالجة بصرية خاصة للصراع الأزلي بين الخير والشر. هذان العنصران المتوازيان عبر التاريخ، كما يراهما، بيد أناس يقودون العالم إلى الفناء تارة وإلى الاستقرار تارة أخرى. لكن الوحش عند علاءالدين ليس شرا مطلقا، إنما هو كائن حدودي يقف على عتبة بين الإنسان والحيوان، بين الأسطورة والواقع، بين الذاكرة والنسيان.

وبإعادة صور الحيوانات الوحشية المنقرضة إلى واجهة المعاصرة، لا يقدم الفنان حنينا أنطولوجيا إلى الماضي، بل يمنحها نصا فكريا رمزيا بضربات لونية نتآلف معها جليا.

الوحش يصبح مرآة للإنسان: ما ننكره في ذواتنا، ما نخافه، ما نؤلهه. هذه الرؤية الفنتازية الجميلة رغم مأساة موضوعاتها، تضع علاءالدين ضمن تيار السريالية التعبيرية ذات الجذور الميثولوجية. لا يكتفي بتمثيل الواقع، بل يفككه ويعيد تركيبه في فضاءات مشحونة بالدراما والرمز.

ويظهر التأثر الصارخ بالرمزية التاريخية والآثارية في دمج رؤوس تماثيل مستوحاة من سومر وأكد وآشور، حيث الثور المجنح، الرؤوس الحجرية ذات العيون الواسعة المندهشة، تستبدل الرؤوس البشرية الحية.

في بعض أعماله يتحول الكائن البشري أو الفارس إلى امتداد لجسد تاريخي مخفي. هذه العملية ليست استشهادا تاريخيا، بل تأكيد على أزلية الوجع. فالهوية العراقية، بوصفها هوية صراع، لا تبدأ بـ2003 ولا تنتهي به.

الفنان هنا يقول بصريا: الجسد الذي يُصلب اليوم هو نفسه الجسد الذي نحتته يد آشورية قبل آلاف السنين. التاريخ لا يتكرر، بل يستمر. تقنيا، يشتغل الكولاج هنا كطريقة حفر أركيولوجية، فلصق صورة تمثال قديم على جسد مرسوم بالزيت يخلق شرخا زمنيا. والمشاهد يرى طبقتين: طبقة الحجر الميتة، وطبقة اللحم الحيّة، وبينهما يقع معنى الهوية.

ويناقش علاءالدين قضايا معاصرة شديدة الحساسية هي التلوث البيئي، زحف التكنولوجيا، وخراب الصناعة. في أحد أعماله يظهر كائن يرتدي زي سمكة قرش يمتطي جوادا برأسه زهرة أقحوان بيضاء، بينما تنفث الأنابيب الصناعية دخانا أسود كثيفا. الصورة صادمة لأنها تجمع ثلاثة أزمنة: زمن الطبيعة (القرش والجواد والزهرة)، وزمن الإنسان (الزي والامتطاء)، وزمن ما بعد الإنسان (الأنبوب والدخان).

هذه صرخة بصرية ضد تشويه الطبيعة. تتكرر الصرخة في لوحة أخرى حيث تتدلى ثمرة برأس بشري، أو تسقط البقرة مقلوبة وسط أوراق شجرية. النبات هنا ليس رمز خصوبة، بل مغترب عن وظيفته. علاءالدين لا يرسم طبيعة إنما يرسم ما تبقى منها بعد الإنسان حيث اللون الأخضر يفقد براءته ويصبح لونا كيميائيا مصطنعا.

مبدع يحول التاريخ إلى سخرية بصرية

صرخة بصرية ضد خراب البيئة

تشريح بصري لذروة الوجع الإنساني

مواجهة وجودية مع الوحش الداخلي

وتتكرر الخيول والأبقار والغزلان والطيور الجارحة بوصفها حاملات إسقاطات نفسية واجتماعية. فالحصان عند علاءالدين ليس رمزا للفروسية، بل رمز لجسد يُروّض ويُقيد ويُضحى به.

في اللوحة السابعة، يتداخل جسد الجواد البني مع الجسد البشري المصلوب على خلفية برتقالية نارية. هذا التداخل ليس مجازا شعريا، بل تشريح بصري للمعاناة. الجواد يُصلب كما يُصلب الإنسان. الألم واحد. الخلفية النارية لا تمثل الجحيم، بل تمثل ذروة الألم الإنساني – اللحظة التي يصبح فيها الصراخ لونا.

في اللوحة العاشرة، شبكة الصيد البيضاء تحاول قنص طائر أسود برأس بشري. المطاردة هنا ليست حدثا، بل حالة وجودية دائمة للإنسان المعاصر: مطارد من السلطة، من التاريخ ومن ذاته. البياض الشبكي هنا يبدو نقيا، لكن وظيفته تنطوي على القتل. هذا التضاد هو جوهر اللغة البصرية لعلاءالدين.

في إحدى اللوحات هناك كائنات شبيهة بالخيول ملتحمة ومغطاة بأقمشة بيضاء تقف على منصة تحمل باقة ورد حمراء. المشهد احتفاء غامض بالموت، فالورد الأحمر لا يناقض الأبيض، بل يكمله: الموت عند علاءالدين ليس نهاية سوداء، بل طقس يتطلب زينة ومراسم. الظلال الداكنة المحيطة تعمق شعور الوحشة. لكن الوحشة هنا ليست سلبية. هي المسافة الضرورية بين الإنسان وذاته، بين الحي والميت، بين ما نحن عليه وما سنصير إليه.

سيكولوجية اللون

يتعامل علاءالدين مع اللون بوصفه سلطة تعبيرية وسيكولوجية تقود عين المتلقي. يمكن رصد تيارين لونيين مهيمنين: الألوان الترابية والخلفيات الحيادية: الأوكر، البني، البيج، الرمادي، والتي تبني معظم الفضاءات الخلفية 3، 4، 9. ودلالتها الأكاديمية واضحة: الارتباط بالأرض والتراب والزمن الفاني، وتمنح المشهد بعدا صحراويا أو أركيولوجيا يعمق الإحساس بالقدم والعزلة. هذه الألوان تعمل كمنصة محايدة، كأنها صحراء بابلية يظهر عليها الوحش فجأة. الكتل اللونية المتفجرة: الأحمر والبرتقالي الناري، تسيطر على خلفية اللوحة رقم 7 والتلال في اللوحتين رقم 8 و10. هو لون الشغف والخطر والتحذير. يحول الفضاء إلى ساحة صراع.

في المقابل، الأوشحة القوس قزحية تظهر في اللوحات رقم 2 و3 و10، هناك يظهر أحمر، أصفر، أزرق، وأخضر، كلها تعمل كبهجة مصطنعة تحاول مقاومة الرمادية. هذا التباين الحاد Chiaroscuro معاصر يعكس فكرة الحياة لا تعيش في الضوء فقط، بل في الصراع بين الضوء والظل. كما أن الأبيض والأسود يمثلان الثنائية التقليدية للصراع: الخير والشر، النور والظلمة.

أما الأسود فيتجلى في دخان اللوحة رقم 6 وفي الظلال العميقة والخيول الداكنة. أما الأبيض فيحضر بوصفه طهرانية الضحية: في الأقحوانة، شاش الصلب، رداء الخيل. لكن علاءالدين لا يثبت هذه الثنائية، فالأبيض يتلوث، والأسود يشع، والخير والشر يتبادلان المواقع.

في مجموعة أعمال لاحقة من اللوحات من رقم 11 إلى 15، نلحظ نضوجا أسلوبيا أعمق، فالقماش يتحول إلى منصة مسرحية يمتزج فيها التاريخ الرافديني بالعبث المعاصر، والنخلة تبرز كمركزية كونية جريحة، لم تعد عنصرا بيئيا، بل محورا وجوديا.

في اللوحة الحادية عشرة، هناك كائن متقنع يتسلق نخلة في فضاء مظلم حاملا كيسا مشعا بالأخضر، كأنه يحاول اقتناص ما تبقى من خصوبة وسط ليل الهوية.

في الجدارية الخامسة عشرة، النخلة شاهد صامت على فوضى: فرسان عصور قديمة يقتحمون أحواض سباحة بلاستيكية وأرائك وأهداف رماية. النخلة الوتد تربط الأرض المتخيلة بالذاكرة المفقودة، لكنها عاجزة عن إيقاف العبث.

هناك كائنات هجينة حيث يبرز إلغاء الهوية الفردية عبر مسخ الرؤوس ما يمنح الأعمال طابع "كروتسك".

في اللوحة الثانية عشرة، فارس برأس صخري عظمي غامض يمتطي جوادا مشوها حاملاً سيفاً متموجاً كأفعى، يدل على غياب العقلانية وسيادة العنف الأعمى.

أما في الرابعة عشرة، فهناك كائن داكن على منصة حمراء صغيرة وسط صحراء قاحلة، تنبثق من جسده ذراع بشرية تحتضنه بشكل مشوه: انفصام وجودي وصهر الأزمنة في حيز واحد.

في اللوحة الثالثة عشرة، شخص برأس تمثال سومري ذي عين واسعتين يستلقي في قارب "مشحوف" محتضنا كائنا ثوريا مقلوبا، والخلفية حمراء قانية. طقوس موت جنائزي تاريخي + دفء بشري مفقود = مشهد لا ينتمي إلى زمن.

الكولاج مفك زمني

تبرز ذروة العبث في اللوحة الخامسة عشرة حيث يظهر تمثال ملكي عراقي قديم جالس يضع "رجلا على رجل" فوق أريكة، ودخان أسود كثعبان يخرج من أمامه، وفرسان عراة يطلقون النار حوله. هناك إدانة بصرية: التاريخ المجيد تحوّل إلى ديكور ملهاة معاصرة. السخرية السوداء هنا أقسى من الصراخ.

علاءالدين لا يعتمد الزيت وحده. الكولاج عنده ليس تقنية، بل فلسفة. لصق صورة أثرية، قطعة قماش، ورقة قديمة، على سطح اللوحة يخلق شرخا زمنيا. الماضي لا يُرسم، بل يُلصق كما هو: غريبا، غامضا، غير قابل للذوبان في الحاضر. العمل النحتي الوحيد في المعرض يكمل هذه المنظومة. النحت يخرج الوحش من ثنائية اللوحة إلى ثلاثية الفضاء. المشاهد لم يعد متفرجا، بل صار محاطا بالكائن. هذا الانتقال من السطح إلى الحجم يعكس انتقال الفنان من سؤال "ماذا أرى؟" إلى سؤال "أين أقف أنا من هذا الوحش؟".

> علاءالدين يرسم ما تبقى من الطبيعة بعد الإنسان حيث اللون الأخضر يفقد براءته ويصبح لونا كيميائيا مصطنعا

منجز علاءالدين محمد في الفترة ما بين 2018 و2022 يمثل محاولة جادة لبناء هوية تعبيرية مركبة، فهو يزاوج بين الكولاج المفاهيمي حيث يربط الماضي السحيق بالواقع المعاصر دون مصالحة سهلة، وبين الحساسية اللونية الصادمة، حيث يظهر التضاد الدرامي بين الترابي والناري، بين البهجة الزائفة والعتمة الوجودية. وهناك غياب للتفاصيل الواقعية لصالح الرمز وحركة الجسد وتحولاته.

هذه الأعمال لا تطلب من المشاهد أن يرى بل أن يتساءل: ما مصير إنسان يمتلك جسدا معاصرا ورأسا محنطا في متحف التاريخ؟ ما معنى أن نكون أحفاد آشور في زمن الأنبوب والدخان؟ هل الوحش الذي نخافه خارجنا، أم هو نحن حين نخلع القناع؟

في بداية مشواره الطويل، أودع علاءالدين عصارة فلسفة فكره وبحثه الأكاديمي المتواصل. لم يختر مدرسة واحدة، لأنه يدرك أن الفن المعاصر، كما قال هربد ريد، معقد بطبيعته. لكنه اختار سؤالا واحدا واضحا: الإنسان حين يواجه وحشه الداخلي، هل ينجو أم يتحول إلى أسطورة؟

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

بيت واحد وعالمان منفصلان: «الزواج الفارغ» علاقة تنتهي فيها مظاهر القرب والحميمية

الانسحاب العاطفي حالة تشير إلى تراجع التعبير عن المشاعر أو كبتها أو إعادة تنظيمها

يصف خبراءُ علم النفس العلاقةَ الزوجيةَ التي تفتقد إلى القرب والحميمية بين الشريكين بـ«الزواج الفارغ»، إذ إن ما يجمع الزوجين هو الحديث عن المتطلبات اليومية للأسرة والأطفال. وتتسم هذه العلاقة بمرحلة الانسحاب والصمت العاطفي، التي يتوقف فيها الطرفان عن محاولة التأثير في بعضهما بعضًا. ولا يعني ذلك غيابَ المشاعر، بل غالبًا ما يعني إنهاكها وتوقفَ التعبير عنها.

تباعد عاطفي

تونس - لا تبدو العلاقة بين إيناس القاسمي وزوجها علاقة طبيعية فهما ينامان في غرفتين منفصلتين ولا تجمعهما أحاديث حميمية أو لحظات رومانسية فكل ما يدور بينهما يتلخص في حديث عن الأبناء ودراستهم وعن حاجيات المنزل، وتدابير شؤون البيت.

وقالت القاسمي "نعيش تحت سقف واحد رغم تراجع القرب العاطفي بيننا.. ربما لأننا نخشى الانفصال والمتاعب التي سوف تنجر عنه

"أو ربما لأننا اعتدنا على هذه الوضعية، أو لأن الأطفال هم الرابط الوحيد بيننا.

وأضافت لـ "العرب" أن وهيج العلاقة قد انطفأ منذ سنين ومع ذلك لم يفكر كلانا في الطلاق.

وليست ايناس وزوجها هما المثالان الوحيدان عما يسميه خبراء علم النفس بـ "الزواج الفارغ" فالحالات متعددة والأمثلة كثيرة لشركاء لا يجمعهم إلا البيت، يعيشون أعلى درجات الصمت العاطفي.

ويرى الخبراء أن كثرة الخلافات لا تُعد المؤشر الأخطر على تدهور الزواج، بل ما يسمى بمرحلة الانسحاب والصمت العاطفي، التي يتوقف فيها الطرفان عن محاولة التأثير في بعضهما. فلا نقاشات ولا مبادرات، ولا حتى ردود فعل واضحة.

وقالت الدكتورة وفاء الأنصاري استشاري العلاقات الأسرية إن الحياد العاطفي هو افتقار العلاقة الزوجية للمودة والسكن النفسي، بحيث لا يشعر أي منهما بوجود الآخر، على الرغم من وجودهما في بيت واحد لكنهما منفردان ومنعزلان عن بعضهما، مع استمرار قيامهما بالواجبات الزوجية المعتادة، ويُعرف أيضاً بالطلاق الصامت، وقد يكون هجراً في العلاقة العاطفية أو في المحادثة، حيث يفقدان الرغبة في التواصل والمشاركة العاطفية، وقد يؤدي إلى توترات وخلافات متزايدة، وهو يعتبر من أوضح العلامات التي تشير إلى انتهاء صلاحية العلاقة الزوجية بين الطرفين طالما لم يشرعا في علاجه.

يؤدي الحياد العاطفي بين الزوجين إلى تدهور التواصل بينهما بشكل كبير، مما يخلق فجوة عاطفية ويقلل من المودة والاهتمام المتبادل، فيصبح الزوجان غير قادرين على التعبير عن مشاعرهما وأفكارهما بشكل فعال، مما يؤدي إلى تراكم المشاعر السلبية، مثل قلة الحديث معاً، وتجنب مشاركة المشاعر والأفكار، وانعدام الاستماع الفعال لآراء واحتياجات الطرف الآخر، ويقل الحوار والنقاش بين الزوجين، وقد يصبح كل منهما منعزلاً عن الآخر، ويصبح الحوار مقتصراً على الأمور الضرورية.

ويعد هذا النمط علامة متقدمة على تدهور العلاقة، لأنه يحوّلها من تفاعل حي إلى نظام إدارة منفصل للحياة. لكن المفارقة أن هذا الصمت لا يعني غياب المشاعر، بل غالبا يعني إنهاكها وتوقف التعبير عنها.

ويصف بعض المختصين هذا النوع من الزواج بـ"الزواج الفارغ" أو "التعايش الوظيفي". ويطرح هذا الشكل من العلاقات الزوجية سؤالا أكثر تعقيدا من مجرد "سعادة أو تعاسة":هل يمكن أن يصل الإنسان إلى مرحلة لا يحب فيها شريكه ولا يكرهه.

وينجم عن هذه العلاقة، وفق الخبراء، انعدام القدرة على التواصل بنتائج مثمرة، والسبب في ذلك، تباين الآراء وعدم احترامها، ووجود اختلافات عديدة في القيم والمبادئ التي يؤمن بها كل من الطرفين، ومن ثم عدم وجود نقطة تلاقي تتضح فيها معالم التواصل الجيد الذي وإن تحقق لما فشل الزواج أبدًا.

ويعد "الزواج الفارغ"، حالة أخرى من حالات الطلاق النفسي أو الطلاق العاطفي أو الانفصال النفسي أو الخرس الزوجي إذ تعتبر جميعًا إشارة إلى أن العلاقة بين الزوجين تحتضر ويحتضر معها الزواج. وكل هذه المصطلحات تتحد في فكرة واحدة وهي حدوث التباعد بين الزوجين، وانفصال كل منهما في عالم آخر. فلم يعد هناك مكانًا للحب ولا وقتًا للتواصل ولا سبيلا للتفاهم ولا أملًا في حدوث التقارب.

ويستخدم عدد من علماء النفس تعبير "الحياد العاطفي" لوصف حالة تبدو فيها العلاقة الزوجية خالية من المشاعر الواضحة، لا حب قوي ولا كره مباشر، بل نوعا من التعايش الهادئ داخل البيت نفسه، واستمرار علاقة شكلية تقوم على الاعتياد والمسؤوليات أكثر من الارتباط الوجداني.

وغالبا ما تبدأ الحياة الزوجية بعاطفة قوية ومشاعر فياضة، لكن هناك مرحلة قد تواجه فيها العلاقة الزوجية تحديات تجعل المشاعر تبدو أضعف والاتصال العاطفي أضعف مما كان عليه في البداية. و لا يعد الحياد العاطفي بين الزوجين أمرًا نادرًا، بل قد يكون شائعًا في العلاقات طويلة الأمد، مما يتطلب فهم الأسباب والعمل على استراتيجيات فعالة لاستعادة الحيوية العاطفية.

> هذه العلاقة ينجم عنها انعدام القدرة على التواصل بنتائج مثمرة، والسبب في ذلك، تباين الآراء وعدم احترامها

والحياد العاطفي هو حالة شعورية يشعر فيها أحد الطرفين أو كلاهما بانخفاض في مستوى المشاعر الإيجابية تجاه الشريك مثل الحب، الاهتمام، والحميمية. قد يشعر الطرفان بالبعد النفسي أو العاطفي حتى وإن كانا يتشاركان نفس المكان جسديًا. هذه الحالة قد تكون مزعجة ومُحبطة للطرفين، فالعلاقات تحتاج إلى تغذية مستمرة واهتمام.

ولا ينشأ هذا الشعور فجأة؛ بل هو نتيجة لتراكم مشاعر أو أحداث لم يتم التعامل معها بالشكل الصحيح. ويمكن للفتور أن يظهر في مظاهر مختلفة، تشمل تقليل الحديث، اختفاء مظاهر الحب المعتادة مثل العناق أو الكلمات الدافئة، وربما الانشغال الكامل بالمهام اليومية دون وجود وقت مخصص للعلاقة.

وفي الأدبيات العلمية الخاصة بعلم النفس والعلاقات، لا يظهر "الحياد العاطفي" بوصفه تصنيفا معتمدا لحالة يعيشها الأزواج. فالباحثون لا يصنفون العلاقات إلى "حب" و"كره" و"حياد"، بل يستخدمون مفاهيم أكثر دقة مثل الانسحاب العاطفي والانفصال الوجداني والتبلد العاطفي، وهي حالات تشير إلى تراجع التعبير عن المشاعر أو كبتها أو إعادة تنظيمها، وليس اختفاءها بالكامل.

وتشير دراسة منشورة في مجلة "بي إم سي سايكولوجي" عن ديناميكيات التعلق وتنظيم المشاعر في العلاقات الحميمة إلى أن الشريك العاطفي لا يتوقف عن كونه جزءا من نظام تنظيم المشاعر لدى الفرد، حتى في حالات التوتر الشديد أو تدهور العلاقة.

وتوضح الباحثتان جورجيا كوري ودومينيك شوبي وزملاؤهما، أن تأثير الشريك يستمر في تشكيل الاستجابات الانفعالية، حتى عندما يعتقد أنه لم يعد متأثرا به.وهذا المعنى يغيّر زاوية الفهم، فالعلاقة لا تنطفئ، بل تستمر آثارها النفسية في العمل بصمت، حتى في لحظات اللامبالاة الظاهرة.

ويرى علماء النفس، أن فكرة انعدام المشاعر داخل علاقة طويلة تبدو نادرة جدا، فالعلاقات الزوجية لا تقوم على الحب وحده، بل على منظومة من العناصر مثل الاعتياد اليومي، والذكريات المشتركة والمسؤوليات،

والروابط الاقتصادية والعائلية، وأنماط التعلق النفسي.

وتشير أبحاث التعلق لدى ماريو ميكولينسر وفيليب شيفر، وهما من أبرز علماء النفس المعاصرين، إلى أن أنماط التعلق تستمر في التأثير على طريقة استجابة الفرد داخل العلاقة، حتى في حالات البرود الظاهري.

فالأشخاص ذوو النمط التجنبي، على سبيل المثال، يميلون إلى كبح التعبير العاطفي عند الضغط، ما يجعلهم يبدون باردين أو غير مبالين، رغم استمرار التفاعل الداخلي بشكل غير مباشر.

بالتالي، ما يبدو "حيادا" هو في كثير من الحالات انخفاض في التعبير، لا في الإحساس.

ويعد الأصل في الزواج هو تحقيق أهداف كبيرة أهمها، تأسيس حياة زوجية قوية وناجحة تساهم في تكوين أسرة متحابة ومترابطة، وبيئة آمنة، وقلوب سعيدة تعرف كيف تتمتع بالحب، وكيف تنعم بالطمأنينة وراحة البال. وهو ما لا يتحقق عند فشل الزواج حيث تكثر الخلافات، وسوء الفهم، وانعدام التناغم والانسجام، وغياب كثير من المقومات الأخرى التي تحقق مفهوم الزواج الناجح.

وقد تتسع المسافة العاطفية بين الشريكين تدريجيا من دون خلافات حادة أو مشكلات ظاهرة، إلا أن أكثر ما يلفت في هذه الحالات ليس تراجع المشاعر فقط، بل استمرار الحياة المشتركة رغم الانفصال العاطفي.

فالزوجان يعيشان تحت سقف واحد، وبينهما حياة يومية منظمة، ومسؤوليات مشتركة، وواجهة اجتماعية مستقرة، ونوم منفصل أحيانا. لكن داخل هذا الإطار، تتشكل حياتان منفصلتان نفسيًا.

وتشير دراسات في علم العلاقات إلى أن استمرار هذا النمط يرتبط بعوامل متعددة، منها وجود الأطفال، والاعتماد المالي،

والخوف من الانفصال، والضغط الاجتماعي، والاعتياد طويل الأمد.

وهذه العوامل لا تصنع علاقة عاطفية، لكنها تفسر استمرارها رغم تراجعها الداخلي.

انشغال بالحياة اليومية

أفريقيا جنوب الصحراء تتصدر معدلات زواج الأطفال

تونس - ركزت أعمال الجلسات والفعاليات المصاحبة لبرنامج يوم الطفل الأفريقي لعام 2026، على قضايا الطفولة والتنمية المستدامة من خلال حوارات مباشرة جمعت الأطفال بالوزراء والمختصين المشاركين، حيث طُرحت خلالها أسئلة وملاحظات من الأطفال حول قضايا المياه والخدمات الأساسية وحقوق الطفولة، في تفاعل يعكس أهمية إشراكهم في النقاشات المرتبطة بمستقبلهم.

وفي ختام مخرجات ورش العمل الخاصة بالأطفال، قدّم الأطفال بيانا ختاميا تضمّن توصيات ومقترحات ركزت على أهمية تعزيز فرص الحصول على المياه النظيفة وخدمات الصرف الصحي الآمنة، إلى جانب تطوير البنية التحتية الداعمة للأسرة والطفل، بما يضمن بيئة صحية وآمنة تعزز نموهم ورفاههم.

وشدد معز الشريف، رئيس الجمعية التونسية للدفاع عن حقوق الطفل ورئيس جمعية صوت الطفل بتونس، على أن ضمان حق الطفل في التعليم والصحة والمياه الصالحة للشرب يمثل أساس أي مشروع تنموي حقيقي في أفريقيا، مبرزاً أن الأطفال الأفارقة ما يزالون يواجهون حرماناً واسعاً من هذه الحقوق الأساسية.

ويعد يوم الطفل الأفريقي حدثا إقليميًا هاما للدفع نحو

مزيد إعمال حقوق الطّفل الأفريقيّ بحلول عام 2050 خاصة وأن عدد الأطفال في أفريقيا سيبلغ قرابة مليار طفل، وهو ما يعتبر نموا غير مسبوق يمثّل تحديا وفرصة في الآن نفسه.

ومن أبرز التحديات التي تواجه أطفال القارة الأفريقية، تزويج القاصرات وتشويه الأعضاء التناسلية للإناث، إلى جانب قضايا الوصول إلى الماء والصحة والتعليم، في وقت تتزايد فيه الدعوات إلى تحرك قاري موحد لتعزيز منظومة حماية الطفولة وضمان مستقبل أكثر أماناً وإنصافاً للأجيال القادمة.

وأكدت ريم فيالة، مديرة مكتب صندوق الأمم المتحدة للسكان بتونس، أن الزواج المبكر وتشويه الأعضاء التناسلية للإناث ما يزالان من أبرز التحديات التي تهدد حقوق الأطفال، خاصة الفتيات، في عدد من الدول الأفريقية، مشيرة إلى أن هذه الممارسات تخلّف آثاراً صحية ونفسية واجتماعية خطيرة وتمثل عائقاً أمام تحقيق التنمية المستدامة.

وكشفت فيالة أن الأرقام العالمية المرتبطة بهذه الظاهرة ما تزال صادمة، حيث تشير المعطيات إلى تعرض نحو 130 مليون فتاة وامرأة لهذا النوع من الانتهاك، محذرة من استمرار هذه الممارسات رغم الجهود الدولية المبذولة للقضاء عليها.

وكشفت البيانات التي تم عرضها خلال المنتدى حول اتجاهات زواج الأطفال عالمياً عن تراجع نسبي في معدلات الظاهرة خلال السنوات العشر الأخيرة، غير أن التفاوت الإقليمي ما يزال كبيراً ويعكس عمق الفجوة التنموية والاجتماعية بين مناطق العالم.

وبحسب البيانات، انخفض المعدل العالمي لزواج الأطفال من 22 في المئة قبل عشر سنوات إلى 19 في المئة حالياً، في مؤشر يعكس تقدماً نسبياً في الجهود الدولية الرامية إلى الحد من هذه الظاهرة، إلا أن هذا التراجع لم يكن متساوياً بين مختلف المناطق.

وسجلت أفريقيا جنوب الصحراء أعلى نسبة انتشار عالمياً، رغم تراجعها من 37.7 في المئة إلى 33 في المئة، وهو ما يكشف أن ثلث الفتيات تقريباً في هذه المنطقة ما زلن عرضة للزواج المبكر، في ارتباط مباشر بالفقر وضعف التمدرس، والهشاشة الاجتماعية.

وحققت منطقة وسط وجنوب آسيا أحد أبرز التحولات الإيجابية، حيث تراجعت النسبة من 35 في المئة إلى 24.6 في المئة، بما يعكس أثر السياسات العمومية والبرامج الاجتماعية الموجهة لحماية الفتيات..

وتبرز هذه المؤشرات أن زواج الأطفال لم يعد مجرد قضية اجتماعية معزولة، بل أصبح مؤشراً مركباً يرتبط بمستوى التنمية، والتعليم والعدالة الاجتماعية ومدى قدرة الدول على حماية الفتيات من دوائر الفقر والإقصاء، كما تؤكد أن التراجع المسجل عالمياً لا ينبغي أن يحجب استمرار الأزمة في بعض المناطق، خاصة في أفريقيا، حيث لا تزال الظاهرة تمثل تحدياً يتطلب استجابات أكثر جرأة ونجاعة.

> ثلث الفتيات في هذه المنطقة ما زلن عرضة للزواج المبكر، في ارتباط مباشر بالفقر وضعف التمدرس،

وتوقّعت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف)، بأن ترتفع عدد حالات زواج القاصرات في أفريقيا من 125 مليون حالة إلى 310 مليون حالة، بحلول عام 2050.

جاء ذلك في تقرير إحصائي أصدرته المنظمة، خلال انعقاد "قمة الاتحاد الأفريقي للفتيات" بزامبيا، لبحث ملف زواج القاصرات بأفريقيا.

وأشار التقرير إلى تباطؤ معدلات الحد من زواج القاصرات، مع توقعات بزيادة سريعة في النمو السكاني والأسباب المؤدية لذلك.

وأوضح التقرير أن أفريقيا ستسبق بحلول 2050 جنوب آسيا، لتصبح المنطقة التي تشهد أعلى عدد من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 20 و 24 عاما، ممن تزوجن قبل بلوغ سن الثامنة عشرة.

وتوقع معدو التقرير أن يرتفع عدد النساء في أفريقيا من 275 مليونا إلى 465 مليونا، بحلول عام 2050، ما يستدعي اتخاذ إجراءات أكثر طموحًا للحد من ظاهرة زواج القاصرات.

وأشار التقرير إلى ما يعرف بـ "العرائس الأطفال" في إثيوبيا موضحاً أن واحدة من كل خمس فتيات في هذه البلاد، تزوجن دون سن الـ 18.

وكان الاتحاد الأفريقي قد أطلق حملة على مستوى القارة، لإنهاء زواج القاصرات، وأعقب ذلك خطة عمل للحكومات الأفريقية للحد من معدلات تلك الظاهرة في القارة السمراء، من خلال التعليم الجيد والخدمات الصحية والإنجابية، فضلاً عن تعزيز وإنفاذ القوانين والسياسات التي تحمي حقوق الفتيات ومنع الزواج قبل سن الـ 18.

دفع نحو مزيد إعمال حقوق الطفل الأفريقي

ريال مدريد يواصل تدعيم صفوفه بصفقات قوية

البرتغالي بيرناردو سيلفا في «الميرينغي» حتى 2028

يواصل ريال مدريد الإسباني تحركاته القوية في سوق الانتقالات الصيفية، استعدادا للموسم المقبل على المستويين المحلي والأوروبي، حيث نجحت إدارة النادي الملكي في التعاقد مع لاعب الوسط البرتغالي برناردو سيلفا، قادما من مانشستر سيتي الإنجليزي، وذلك بعد ضم الظهير الإسباني مارك كوكوريا، والتعاقد مع الفرنسي إبراهيما كوناتي.

نجم جديد في الليغا الإسبانية

مدريد - اقتحم ريال مدريد الإسباني سوق الانتقالات الصيفية بقوة، حيث أعلن النادي، الأربعاء، تعاقده مع لاعب الوسط البرتغالي برناردو سيلفا بعقد يمتد حتى 30 يونيو 2028، في صفقة انتقال حر عقب نهاية عقده مع مانشستر سيتي.

ويصل الدولي البرتغالي إلى ملعب "سانتياغو برنابيو" بعد مسيرة ناجحة استمرت تسعة أعوام مع مانشستر سيتي، خاض خلالها 459 مباراة سجل فيها 76 هدفًا، وأسهم في التتويج بـ15 لقبًا، أبرزها أربعة ألقاب متتالية في الدوري الإنجليزي الممتاز بين عامي 2021 و2024، إضافة إلى لقب دوري أبطال أوروبا عام 2023، والثلاثية التاريخية في الموسم ذاته.

وكانت تقارير عديدة قد رجحت أن يؤجل سيلفا، البالغ من العمر 31 عامًا، حسم مستقبله إلى ما بعد كأس العالم 2026، غير أن تعيين المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو على رأس الجهاز الفني لريال مدريد أسهم، بحسب التقارير، في تسريع قراره بالانضمام إلى النادي الملكي.

> التعاقد مع برناردو سيلفا يأتي ضمن حملة واسعة يقودها رئيس النادي فلورنتينو بيريز لتدعيم الفريق، بعد إعادة انتخابه

ويأتي التعاقد مع برناردو سيلفا ضمن حملة واسعة يقودها رئيس النادي فلورنتينو بيريز لتدعيم الفريق، بعد إعادة انتخابه لولاية جديدة، حيث سبق لريال مدريد أن أعلن ضم الظهير الإسباني مارك كوكوريّا قادمًا من تشيلسي مقابل 55 مليون يورو.

كما عزز النادي صفوفه بالتعاقد مع المدافع الفرنسي إبراهيما كوناتيه في صفقة انتقال حر بعد نهاية عقده مع ليفربول، بالإضافة إلى ضم الظهير الهولندي دينزل دومفريس من إنتر ميلان عقب تفعيل الشرط الجزائي في عقده.

وفي سياق متصل، أشارت تقارير إلى أن ريال مدريد تقدم أيضًا بعرض لضم المهاجم الأرجنتيني خوليان ألفاريز من أتلتيكو مدريد، إلا أن العرض قوبل بالرفض.

وقع ريال مدريد يوم الاثنين عقداً لمدة ست سنوات مع الظهير الأيسر الإسباني مارك كوكوريا قادما من تشيلسي الإنجليزي في أول صفقة يبرمها النادي المنافس في دوري الدرجة الأولى الإسباني لكرة القدم منذ إعادة تعيين جوزيه مورينيو مدرباً للفريق.

ولم يكشف الناديان عن التفاصيل المالية للصفقة، لكن وسائل إعلام بريطانية ذكرت أن قيمتها تصل إلى 51.8 مليون جنيه إسترليني (69.5 مليون دولار).

وقال ريال مدريد في بيان: توصل ريال مدريد ونادي تشيلسي إلى اتفاق بشأن انتقال اللاعب مارك كوكوريا الذي سينضم إلى نادينا للمواسم الستة المقبلة حتى 30 يونيو 2032.

ويسعى ريال مدريد إلى تعزيز صفوفه بعد موسم 2025–2026 المخيب للآمال الذي خسر فيه لقب الدوري الإسباني وخرج من دور الثمانية بدوري أبطال أوروبا.

وكان رئيس النادي فلورنتينو بيريز، الذي تمكن مؤخرا من تمديد فترة رئاسته لأربع سنوات أخرى، قد وعد بتعزيز الخيارات الدفاعية لريال مدريد خلال حملته الانتخابية لإعادة انتخابه.

ويواصل ريال مدريد، اتصالاته بوكلاء إنزو فرنانديز منذ أشهر لتعزيز خط وسطه، فيما لم يُخفِ اللاعب الأرجنتيني رغبته في مغادرة تشيلسي والانضمام للنادي الملكي، بحسب شبكة "ESPN".

وقالت الشبكة، إن "ريال مدريد على اتصال بوكلاء إنزو فرنانديز منذ أشهر، إذ يُعد أحد أبرز أهدافهم لتعزيز خط وسطهم"، فيما "يتوق اللاعب للانضمام إلى مارك كوكوريلا في ريال مدريد، ورغبته في مغادرة تشيلسي ليست سرًا".

ويملك إنزو عقدًا طويل الأمد مع تشيلسي حتى عام 2032، لكن قيمته السوقية تبلغ 90 مليون يورو، أي أقل بـ49 مليون يورو مما يطلبه ناديه للموافقة على انتقاله، حيث دفع تشيلسي لبنفيكا 121 مليون يورو عام 2023، ولا يرغب في التخلي بسهولة عن أحد لاعبيه الأساسيين، فيما يبقى النادي اللندني هادئًا معتبراً الوضع تحت السيطرة، ولن يقبل رحيله إلا إذا وافق ريال مدريد على دفع المبلغ المحدد.

وقالت صحيفة "سبورت" الإسبانية، إن ريال مدريد، يملك خيارات أخرى أقل تكلفة، حيث يُعد رودري وماتيوس فرنانديز بديلين مناسبين، إذ يتبقى عام واحد في عقد الإسباني مع مانشستر سيتي، وتبلغ قيمة الشرط الجزائي 50 مليون يورو، لكن النادي الإنجليزي لا يرغب في بيعه بأقل من 70 مليون يورو، فيما يرتبط البرتغالي ماتيوس فرنانديز بعقد مع وست هام حتى عام 2030، وتبلغ قيمته السوقية 50 مليون يورو، لكن ناديه يقدّر قيمته بأكثر من 92 مليون يورو نظراً لاهتمام عدة أندية به.

وتكمن المشكلة في عدم توافق رغبات تشيلسي مع رغبات اللاعب الذي يريد إنهاء مسيرته في لندن بعد موسمه الثالث، فيما يدرس ريال مدريد خياراته بعناية، حيث يُعد إنزو فرنانديز أحد 3 خيارات لتعزيز خط الوسط، لكن المبلغ المطلوب قد يدفع النادي الملكي للتوجه نحو رودري أو ماتيوس فرنانديز كبديلين أقل تكلفة وأكثر واقعية في ظل سياسة الإنفاق الحذرة التي ينتهجها مورينيو.

ويأتي اهتمام ريال مدريد بتعزيز خط وسطه بعد إتمام 4 صفقات بارزة في الميركاتو الصيفي، حيث ضم مارك كوكوريلا من تشيلسي لتعزيز الجانب الأيسر، والهولندي دينزل دومفريس من إنتر ميلان لتدعيم الظهير الأيمن، إضافة إلى البرتغالي برناردو سيلفا من مانشستر سيتي والفرنسي إبراهيما كوناتي من ليفربول.

جنوب أفريقيا تواجه التشيك بشعار التعويض

أبناء «بافانا بافانا» يتمسكون بفرصة البقاء في المنافسات

أتلانتا (الولايات المتحدة) - يخوض منتخب جنوب أفريقيا مواجهة مهمة أمام جمهورية التشيك، الخميس، على ملعب أتلانتا، ضمن منافسات الجولة الثانية من المجموعة الأولى في كأس العالم 2026، باحثًا عن تعويض خسارته في الجولة الافتتاحية وإنعاش آماله في المنافسة على التأهل إلى الدور التالي.

وكان المنتخب الجنوب أفريقي قد استهل مشواره في البطولة بالخسارة أمام المكسيك بهدفين دون رد، في مباراة لم يقدم خلالها الأداء المنتظر، وأنهاها بتسعة لاعبين عقب حالتي طرد، ليجد نفسه مطالبًا بالعودة سريعًا إلى سكة الانتصارات.

وتعرض منتخب جنوب أفريقيا لانتقادات واسعة عقب ظهوره الأول في البطولة، خاصة في ظل النتائج الإيجابية التي حققتها منتخبات أفريقية أخرى، مثل المغرب وساحل العاج والرأس الأخضر ومصر، خلال الجولة الافتتاحية.

ورغم البداية الصعبة، يراهن لاعبو "بافانا بافانا" على قدرتهم على تجاوز الموقف، مستلهمين تجربتهم في كأس الأمم الأفريقية 2023، عندما خسروا مباراتهم الأولى أمام مالي، قبل أن يستعيدوا توازنهم وينهوا البطولة في المركز الثالث.

وأكد الجناح ثابيلو ماسيكو أن المنتخب يمتلك من الخبرة والشخصية ما يؤهله للعودة بقوة، مشددًا على أن الفريق سبق له تجاوز ظروف مشابهة في بطولات كبرى.

ويواجه منتخب جنوب أفريقيا تحديًا من نوع مختلف أمام جمهورية التشيك، التي تعتمد على القوة البدنية والتفوق في الكرات الهوائية، ما يفرض على لاعبي المدرب هوجو بروس رفع مستوى التركيز والانضباط طوال فترات المباراة.

ويدرك المنتخب الجنوب أفريقي أن أي تعثر جديد قد يعقد حساباته مبكرًا في المجموعة، بينما سيمنحه الفوز فرصة العودة إلى دائرة المنافسة قبل الجولة الأخيرة.

وتحمل مواجهة التشيك أهمية كبيرة بالنسبة لجنوب أفريقيا، التي تسعى إلى تقديم صورة مغايرة لتلك التي ظهرت بها أمام المكسيك، وإثبات قدرتها على المنافسة في البطولة العالمية.

في المقابل، يطمح منتخب جمهورية التشيك إلى تعزيز موقعه في المجموعة الأولى، التي تضم أيضًا المكسيك وكوريا الجنوبية، ما يجعل المواجهة مفتوحة على جميع الاحتمالات في صراع قد يكون حاسمًا لمستقبل المنتخبين في المونديال.

ويختتم منتخب جنوب أفريقيا مشواره في دور المجموعات بمواجهة كوريا الجنوبية يوم 24 يونيو، في لقاء قد يكون حاسمًا في تحديد هوية المتأهلين إلى الدور التالي.

وتشهد المباراة حدثًا تحكيميًا استثنائيًا، بعدما قررت لجنة الحكام التابعة للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) إسناد إدارتها إلى الحكمة الأمريكية توري بينسو، لتصبح أول حكمة تدير مباراة في النسخة الحالية من كأس العالم، التي تُقام للمرة الأولى بمشاركة 48 منتخبًا، وتستضيفها الولايات المتحدة وكندا والمكسيك.

عثرة للنسيان

أهداف «النيران الصديقة» تطارد العرب في المونديال

كانكون (المكسيك) - شهدت الجولة الأولى من دور المجموعات في كأس العالم 2026 إثارة كبيرة وتقلبات لافتة، حملت معها بداية متباينة للمنتخبات العربية المشاركة، التي عانت من ظاهرة "النيران الصديقة" في أكثر من مباراة.

وعاشت الجماهير العربية لحظات صعبة بعدما استقبلت شباك ثلاثة منتخبات أهدافًا عكسية سجّلها لاعبون من منتخباتهم بالخطأ، وهو ما انعكس بشكل مباشر على نتائج الجولة الافتتاحية، ليصبح هذا المشهد أحد أبرز عناوين انطلاقة البطولة.

> قائمة مسجلي الأهداف العكسية، شملت محمد هاني مع منتخب مصر، وأيمن حسين مع العراق، ويزن العرب مع الأردن

وشملت القائمة الثلاثي محمد هاني مع منتخب مصر، وأيمن حسين مع منتخب العراق، ويزن العرب مع منتخب الأردن، بعدما وجد كل منهم نفسه في موقف صعب إثر تسجيل هدف في مرماه خلال مباريات منتخباتهم.

وكانت البداية مع مدافع منتخب مصر محمد هاني، الذي أخطأ في التعامل مع كرة عرضية خلال مواجهة بلجيكا، لتتحول الكرة إلى شباك منتخب بلاده، مانحًا المنافس هدف التعادل، قبل أن تنتهي المباراة بنتيجة (1–1)، ليضيع على "الفراعنة" انتصار كان في المتناول.

وفي مباراة العراق والنرويج، عاش المهاجم أيمن حسين أمسية متناقضة؛ إذ سجّل الهدف الوحيد لـ"أسود الرافدين"، قبل أن يهز شباك منتخب بلاده بالخطأ، مسجلًا الهدف الرابع للنرويج، في المباراة التي انتهت بخسارة العراق (1–4).

ولم يكن منتخب الأردن بمنأى عن هذه الظاهرة، إذ تسبب المدافع يزن العرب في هدف عكسي خلال مواجهة النمسا، عندما كانت النتيجة تشير إلى التعادل (1–1)، ليمنح المنافس هدف التقدم، قبل أن تنتهي المباراة بفوز النمسا (1–3).

وتفرض هذه الأهداف العكسية ضغوطًا نفسية وفنية على اللاعبين والأجهزة الفنية في بداية المشوار المونديالي، إلا أن الفرصة لا تزال قائمة أمام المنتخبات العربية لتصحيح الأخطاء واستعادة التوازن خلال الجولتين المقبلتين، في سبيل إنعاش آمالها في التأهل إلى الدور التالي وإسعاد جماهيرها.

كما تعكس هذه الأحداث تأثير التفاصيل الصغيرة في مباريات المونديال، حيث لعبت الأهداف العكسية دوراً حاسماً في نتائج المنتخبات العربية خلال الافتتاح.

العرب
الخميس 2026/06/18
السنة 49 العدد 13838

المتحف البغدادي يستعيد بريقه في قلب بغداد

يعود المتحف البغدادي إلى الواجهة من جديد، حاملا حكايات مدينة عريقة اختزنت عبر عقود تفاصيل الحياة اليومية في بغداد القديمة، حيث تسعى أعمال التأهيل إلى حماية هذا الصرح الثقافي وإحياء ذاكرته الشعبية، ليبقى شاهدا على هوية العاصمة وتراثها الإنساني الغني للأجيال المقبلة.

نافذة على حياة الأجداد

بغداد - تشهد العاصمة العراقية بغداد مرحلة جديدة من الاهتمام بتراثها العمراني والثقافي، مع انطلاق أعمال إعادة تأهيل المتحف البغدادي ومحيطه ضمن مشروع متكامل لتطوير مركز بغداد التاريخي وإعادة إحياء شارع الرشيد، أحد أشهر الشوارع التراثية في العراق.

وتأتي هذه الخطوة في إطار جهود رسمية تهدف إلى الحفاظ على الهوية التاريخية للعاصمة واستعادة المكانة الثقافية التي عرفت بها بغداد على مدى قرون طويلة.

ويُعد المتحف البغدادي واحدا من أبرز المعالم الثقافية والتراثية في العراق، لما يمثله من سجل حي يوثق تفاصيل الحياة اليومية للبغداديين عبر أزمنة مختلفة.

ويقع المتحف في مبنى تاريخي مطل على ضفاف نهر دجلة، شُيّد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في العهد العثماني، قبل أن يتحول عام 1970 إلى متحف متخصص في عرض ملامح الحياة الاجتماعية والتراث الشعبي للعاصمة العراقية.

ومنذ افتتاحه، نجح المتحف في أن يكون نافذة يطل منها الزوار على بغداد القديمة، حيث يضم عشرات المجسمات والمشاهد الواقعية التي تجسد المهن التقليدية والعادات الاجتماعية والأسواق الشعبية والمقاهي البغدادية والمجالس التراثية والطقوس التي كانت جزءاً من الحياة اليومية لسكان المدينة.

ولا تقتصر أهمية المتحف على كونه مكاناً لعرض المقتنيات التراثية، بل يمثل ذاكرة بصرية متكاملة تحفظ تفاصيل مجتمع كامل عاش تحولات كبيرة عبر العقود. فمن خلال أروقته، يستطيع الزائر التعرف إلى ملامح الحياة البغدادية القديمة، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، والحرف التقليدية التي اندثر بعضها أو تراجع حضوره مع تطور الحياة الحديثة.

ويكتسب المتحف مكانة خاصة لدى الباحثين والمؤرخين والمهتمين بالتراث الشعبي، إذ يوفر مادة توثيقية غنية تسهم في فهم التاريخ الاجتماعي للعراق بعيداً عن السرديات السياسية والعسكرية التي غالباً ما تطغى على المشهد التاريخي. كما يشكل محطة مهمة للوفود السياحية العربية والأجنبية الراغبة في التعرف على الوجه الثقافي والحضاري للعاصمة العراقية.

وتشمل أعمال التأهيل الحالية صيانة المبنى التاريخي وتطوير مرافقه الداخلية والخارجية وتحسين بيئة العرض المتحفي وتحديث الخدمات المقدمة للزوار، مع الحفاظ الكامل على الخصائص المعمارية والتراثية التي تميز المبنى. وأكدت الجهات المعنية أن المشروع يراعي أعلى المعايير الخاصة بصيانة المباني التاريخية، بما يضمن الحفاظ على أصالة الموقع وعدم المساس بهويته العمرانية.

كما تتضمن الأعمال تطوير الساحات والممرات المحيطة بالمتحف، وتحسين البنية التحتية والخدمات السياحية، بما يجعل تجربة زيارة المتحف أكثر سهولة وجاذبية للزوار من مختلف الفئات.

ويرتبط تأهيل المتحف البغدادي بمشروع أوسع يهدف إلى إعادة الحياة إلى قلب بغداد التاريخي، ولاسيما شارع الرشيد الذي كان لعقود طويلة مركزاً للحياة الثقافية والتجارية والفنية في المدينة. ويعد هذا الشارع من أبرز الشواهد على التطور العمراني الذي شهدته بغداد في بدايات القرن العشرين، حيث يضم العديد من المباني التراثية والأسواق والمسارح والمقاهي التاريخية.

ويؤكد مختصون في التراث أن نجاح مشاريع التأهيل في هذه المنطقة سيشكل نقطة تحول مهمة في مسار الحفاظ على ذاكرة بغداد، خاصة بعد سنوات طويلة من الإهمال والتحديات التي أثرت في العديد من المواقع التاريخية.

ويرى خبراء الثقافة والتراث أن المتحف البغدادي يمتلك إمكانات كبيرة تجعله مركزا ثقافيا وسياحيا فاعلا، خصوصا إذا اقترنت أعمال التأهيل ببرامج ثقافية ومعارض وأنشطة تفاعلية تستهدف الأجيال الجديدة، وتسهم في تعريفها بالموروث الشعبي الذي شكل جزءاً أساسياً من هوية المجتمع العراقي.

كما يُنتظر أن تسهم إعادة افتتاح المتحف بحلته الجديدة في تنشيط الحركة السياحية داخل بغداد، وجذب المزيد من الزوار والمهتمين بالتراث والثقافة، خاصة في ظل تنامي الاهتمام العالمي بالسياحة الثقافية والتراثية.

ويحمل المشروع أبعاداً تتجاوز الجانب العمراني، إذ يعكس حرص العراق على حماية ذاكرته الوطنية وصون موروثه الحضاري للأجيال القادمة. فالمتاحف والمواقع التراثية ليست مجرد مبانٍ أو مقتنيات أثرية، بل هي خزائن للذاكرة الجماعية وشواهد حية على تاريخ الشعوب وثقافاتها.

ومع استمرار أعمال التطوير والتأهيل، تتطلع الأوساط الثقافية العراقية إلى أن يستعيد المتحف البغدادي مكانته كأحد أهم المعالم الثقافية في البلاد، وأن يعود ليؤدي دوره بوصفه جسراً يربط الماضي بالحاضر، ويقدم للأجيال الجديدة صورة نابضة عن بغداد التي كانت ولا تزال مدينة للعلم والثقافة والتنوع الإنساني.

وباكتمال المشروع، سيستعيد المتحف البغدادي بريقه من جديد، حاملاً معه حكايات العاصمة العريقة، ومؤكداً أن الحفاظ على التراث ليس مجرد استذكار للماضي، بل استثمار في المستقبل وحماية للهوية الوطنية التي تشكل أساس نهضة الأمم واستمرارها.

«ميرا» فيلم مغربي يجمع جبال الأطلس بجوائز روتردام

أمستردام - حصد الفيلم المغربي "ميرا" للمخرج نورالدين الخماري جائزة جديدة تُضاف إلى رصيده، إذ توّجت بطلته صفاء ختامي بجائزة أفضل ممثلة مناصفةً مع الفنانة المصرية نيللي كريم، وذلك خلال الحفل الختامي للدورة السادسة والعشرين من مهرجان الفيلم العربي بروتردام الهولندية، الذي أسدل الستار على فعالياته بعد خمسة أيام حافلة بالعروض والأنشطة الثقافية والفنية، بمشاركة نخبة من نجوم السينما العربية وصناع الأفلام من مختلف البلدان. وعبّرت صفاء ختامي عن بالغ سعادتها بهذا التتويج عبر تدوينة نشرتها على حسابها في إنستغرام، مؤكدةً أن مشاركتها في المهرجان شكّلت فرصة ثمينة لتمثيل السينما المغربية في واحد من أبرز المواعيد السينمائية العربية على الصعيد الأوروبي. ووجّهت شكرها إلى المخرج الخماري على ثقته ودعمه، واصفةً تجربة "ميرا" بالمحطة الفنية المميزة التي ستظل راسخة في ذاكرتها ومسيرتها، مؤكدةً أن هذا التكريم يمثّل دافعاً لمواصلة مشوارها بمزيد من الشغف والمسؤولية.

و"ميرا" أحدث أعمال المخرج نورالدين الخماري، الذي عاد من خلاله إلى الشاشة الكبيرة بتجربة مغايرة لأعماله السابقة المرتبطة بالدار البيضاء، إذ آثر هذه المرة أن تكون فضاءات جبال الأطلس وغابات أزرو وإفران المسرحَ الطبيعي لأحداثه.

ويحكي الفيلم قصة طفلة يتيمة تُدعى "ميرا" في الثالثة عشرة من عمرها، تعيش في قرية جبلية محافظة، وتخوض رحلة شاقة بحثاً عن الحرية في مواجهة القيود الاجتماعية والجمود الفكري، فتجد في أحضان الطبيعة والطيور التي تُطلقها من أقفاصها متنفسا لأحلامها ورغبتها العميقة في الانعتاق.

هيفاء وهبي مجددا في قلب الجدل القضائي

القاهرة - عادت الفنانة هيفاء وهبي إلى دائرة الاهتمام الإعلامي مع استئناف النظر في القضية المرتبطة بمدير أعمالها السابق محمد وزيري، والتي تنظرها المحكمة الاقتصادية في مصر على خلفية اتهامات تتعلق بغسيل الأموال.

وتعد هذه القضية امتداداً لسلسلة من النزاعات القانونية التي نشبت بين هيفاء وهبي ومدير أعمالها السابق خلال السنوات الماضية، والتي حظيت بمتابعة واسعة من الجمهور ووسائل الإعلام، نظراً لارتباطها بإحدى أبرز نجمات الغناء في العالم العربي.

وخلال الجلسة الأخيرة، حضر محمد وزيري إلى المحكمة برفقة فريق دفاعه القانوني، حيث قدم المحامون دفوعهم مطالبين ببراءة موكلهم من التهم المنسوبة إليه. وأكد الدفاع أن الأوراق والتحقيقات، بحسب وجهة نظره، لا تتضمن أدلة كافية تثبت ارتكاب جريمة غسيل الأموال، كما شدد على عدم توافر الأركان القانونية اللازمة لقيام هذه الجريمة.

وأشار فريق الدفاع إلى أن القضية الحالية ترتبط بسياق قانوني سابق يتعلق بحكم صدر في قضية تبديد، سبق أن أُدين فيها المتهم وقضى العقوبة المقررة بحقه. واعتبر المحامون أن استمرار الطعن بالنقض في القضية الأصلية يثير تساؤلات قانونية حول مدى إمكانية الاستناد إليها كأساس للاتهام الحالي.

وطلب الدفاع من هيئة المحكمة تأجيل نظر الدعوى إلى حين الفصل النهائي في الطعن المقدم أمام محكمة النقض، مؤكداً أن نتائج هذا المسار القضائي قد يكون لها تأثير مباشر على مجريات القضية الراهنة.

المذاق السعودي يلتقي العالم في لندن

لندن - تشارك هيئة فنون الطهي في مهرجان "تذوّق لندن" للعام الرابع على التوالي، الذي يقام خلال الفترة من 17 إلى 21 يونيو 2026 في حديقة ريجينت بالعاصمة البريطانية لندن، من خلال جناح "مذاق الثقافة السعودية"، الذي يقدم للزوار تجربة ثقافية متكاملة تسلط الضوء على ثراء فنون الطهي والضيافة السعودية.

وتأتي هذه المشاركة ضمن جهود الهيئة الرامية إلى تعزيز حضور المطبخ السعودي على الساحة العالمية، والتعريف به باعتباره أحد مكونات الهوية الثقافية الوطنية، حيث يعكس تنوع مناطق المملكة وتراثها العريق من خلال الأطباق التقليدية والمكونات المحلية وأساليب إعداد الطعام المتوارثة عبر الأجيال.

ويمنح جناح "مذاق الثقافة السعودية" الزوار فرصة للتعرف عن قرب على تفاصيل الثقافة السعودية عبر مجموعة من التجارب التفاعلية، من أبرزها منطقة الطهي الحي التي يستعرض فيها نخبة من الطهاة السعوديين المبدعين مهاراتهم في إعداد أطباق سعودية أصيلة، تجمع بين النكهات التقليدية والتقديم العصري.

كما يضم الجناح منطقة مخصصة للحرف اليدوية، تقدم أنشطة تفاعلية تسلط الضوء على عناصر من التراث الثقافي المحلي، ومنها طوق الورد العسيري، بما يعزز ارتباط الزوار بالموروث السعودي ويبرز جماليات الحرف التقليدية.

وتتيح المشاركة كذلك فرصة للشركات والعلامات التجارية السعودية لاستعراض منتجاتها أمام جمهور دولي واسع، بما يدعم انتشارها عالميًا ويفتح آفاقًا جديدة للتعاون والاستثمار في قطاع الأغذية وفنون الطهي.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

عليك أن تثق بشيء ما

في 12 يونيو 2005، ألقى ستيف جوبز، الرئيس التنفيذي لشركة أبل كمبيوتر واستوديوهات بيكسار للرسوم المتحركة، كلمة مؤثرة في حفل التخرج بجامعة ستانفورد، روى فيها جملة من الحكايات التي تلخص مسيرة حياته. قال: بدأ الأمر قبل ولادتي. كانت والدتي البيولوجية طالبة دراسات عليا شابة غير متزوجة، وقررت أن تضعني للتبني. كانت تشعر بشدة بضرورة أن يتبناني خريجو جامعات، لذا تم تجهيز كل شيء لتبنّيّ عند ولادتي من قبل محام وزوجته. إلا أنه عندما وُلدتُ، قرروا فَي اللحظة الأخيرة أنهم يريدون فتاة. لذا تلقى والداي، اللذان كانا على قائمة الانتظار، مكالمة في منتصف الليل تسأل "لدينا طفل ذكر غير متوقع. هل تريدونه؟"، فأجابا "بالتأكيد".

اكتشفت والدتي البيولوجية لاحقًا أن والدتي لم تتخرج من الجامعة، وأن والدي لم يتخرج من المدرسة الثانوية. رفضت التوقيع على أوراق التبني النهائية. ولم تتراجع إلا بعد بضعة أشهر، عندما وعدني والداي بأنني سألتحق بالجامعة. كانت هذه بداية حياتي. وبعد سبعة عشر عامًا، التحقت بالجامعة. لكنني اخترت بسذاجة جامعةً كانت تكلفتها تقارب تكلفة جامعة ستانفورد. وكان والداي، وهما من الطبقة العاملة، يُنفقان كل مدخراتهما على رسوم دراستي الجامعية.

بعد ستة أشهر، لم يعد ستيف يرى أي فائدة من ذلك. لم تكن لديه أدنى فكرة عما يريد فعله في حياته، ولا كيف ستساعده الجامعة في اكتشاف ذلك. لقد أنفق كل الأموال التي ادخرها والداه طوال حياتهما. لذلك قرر ترك الدراسة، واثقاً بأن الأمور ستسير على ما يرام. كان الأمر مخيفاً بعض الشيء حينها، لكن بالنظر إلى الماضي، يعتقد ستيف أنه كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته. في اللحظة التي انسحب فيها، تمكن من التوقف عن حضور الفصول الدراسية المطلوبة التي لم تكن تثير اهتمامه، وبدأ في حضور الفصول التي بدت أكثر إثارة للاهتمام.

لم تكن حياة ستيف كلها رومانسية. لم تكن لديه غرفة في السكن الجامعي، لذلك كان ينام على الأرض في غرف أصدقائه. كان يعيد زجاجات الكولا ليسترد الخمسة سنتات التي تُدفع كوديعة ليشتري بها الطعام. وكان يسير سبعة أميال عبر المدينة كل ليلة أحد ليتناول وجبة جيدة واحدة في الأسبوع في معبد هاري كريشنا. لقد أحب ذلك. والكثير مما اكتشفه بالصدفة، باتباعه لفضوله وحدسه، تبين لاحقاً أنه لا يُقدر بثمن.

يروي ستيف مثالا عن ذلك: كانت كلية ريد آنذاك تقدم ربما أفضل تعليم لفن الخط في البلاد. في جميع أنحاء الحرم الجامعي، كانت كل لوحة، وكل ملصق على كل درج، مكتوبة بخط يدوي بديع. ولأنني كنت قد تركت الدراسة، ولم أكن مضطرًا إلى حضور الدروس العادية، قررت الالتحاق بدورة في فن الخط لأتعلم كيفية القيام بذلك. تعلمت عن الخطوط ذات الزوائد والخطوط البسيطة، وعن كيفية تغيير المسافة بين تركيبات الأحرف المختلفة، وعما يجعل الطباعة رائعة. كان الأمر جميلا، وتاريخيا، وفنيا دقيقا، بطريقة لا يستطيع العلم وصفها. وقد وجدته أمرا ساحرا. لم يكن لأي من هذا أي أمل في تطبيق عملي في حياتي. ولكن بعد عشر سنوات، عندما كنا نصمم أول جهاز ماكنتوش، تذكرت كل شيء. وقمنا بتصميمه في جهاز ماك. كان أول جهاز كمبيوتر يتميز بطباعة جميلة. لو لم أحضر تلك الدورة التدريبية في الجامعة، لما كان لجهاز ماك أن يحتوي على أنواع خطوط متعددة أو خطوط متناسقة المسافات. وبما أن نظام ويندوز قد استنسخ نظام ماك، فمن المرجح أن أي جهاز كمبيوتر شخصي آخر لم يكن ليحتوي على هذه الميزات.